

منهجية الإمام الشافعي - رحمه اللّه - في الدعوة إلى وحدة الأمة

دراسة تأصيلية

د/طــه محمــد طــه القلا

المدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين والدعوة بطنطا

جامعة الأزهر





منهجية الإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة (دراسة تأصيلية).

د/ طه محمد طه القلا

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية، بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: tahael2la@gmail.com

ملخص البحث

يهدف البحث إلى: بيان معالم المنهجية الشاملة للإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية وترابط أبنائها وتلاحم صفوفها، والوقوف على جوانبها العقلية والعملية والعلمية، وإيضاح الدعائم الرئيسة التي رسختها في نفسه، وإبراز المرتكزات التي انطلقت منها، وتجلية الأسس التي اعتمدت عليها، وبيان أثرها في: أركان الدعوة، وترسيخ التمسك بالقرآن والسنة، وترتيب مصادر التشريع، وضبط مسار الاجتهاد، وتقعيد طرق الاستدلال، وإحكام سبل الاستنباط، والرؤية الجامعة للتوفيق بين الأدلة، ثم بيان مدى إمكان تحقق هذه المنهجية في العصر الحاضر، وسبل الاستفادة منها على الصعيد العلمي والفكري والدعوي، وتلبية حاجة الدعوة والدعاة والمدعوين إليها، وقد توصل البحث إلى عدة نتائج، منها: دور التربية في تعزيز القيم في نفوس النشء والتحلي بأدب العلم وفقه الخلاف، ودور الاجتهاد العلمي في بيان خصائص الدعوة، وأصالة العقل الإسلامي في تحقيق مقاصد الشريعة وتجديد معالم الدين.

الكلمات المفتاحية: منهجية – الإمام الشافعي – الدعوة – وحدة الأمة – النشأة – الجهود – الأثر.



The Methodology of Imam Al-Shafi'i, may God have mercy on him, in Calling for the Unity of the Nation (AFoundational Study).

Dr: Taha Muhammad Taha Al-Qalla

Teacher of Da'wah and Islamic Culture at the Faculty of Usul al-Din and Da'wah, Tanta, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.

Email: tahael2la@gmail.com

Research Summary:

The research aims to outline the comprehensive methodology of Imam Al-Shafi'i, may God have mercy on him, in calling for the unity of the Islamic nation, the connection among its members, and the cohesion of its ranks. It examines its intellectual, practical, and scientific aspects, clarifying the main foundations that solidified this methodology in his mind, highlighting the pillars from which it originated, and elucidating the principles upon which it relied. The research also discusses its impact on the pillars of the call, reinforcing adherence to the Quran and Sunnah, organizing sources of legislation, regulating the path of diligence, establishing methods of reasoning, and harmonizing the evidence, Furthermore, it explores the feasibility of realizing this methodology in the present age and ways to benefit from it on scientific, intellectual, and advocacy levels, addressing the needs of the call, the callers, and those invited to it. The research concludes with several findings, including the importance of education in enhancing values in the souls of generations and embodying the etiquette of knowledge and the jurisprudence of differences, as well as the role of scientific diligence in achieving the objectives of Sharia and renewing the features of religion.

Keywords: "Methodology - Imam Al-Shafi'i - Call - Unity of the Nation - Origins – Efforts".



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين أجمعين، أما بعد:

فإن وحدة الأمة الإسلامية وجمع كلمتها؛ فريضة شرعية وغاية دينية وضرورة دعوية وحاجة حياتية، ومقصد من أهم مقاصد الدعوة وأجل أهدافها وأبلغ أغراضها وأسمى غاياتها، كما أنها أصل من أصول دعوة الرسل عليهم السلام، وهدي من سار على نهجهم واقتفى أثرهم من الأئمة الأعلام، وقد أمر الله تعالى بها وأوجبها في القرآن الكريم، قال تعالى: **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)**[1]، خاصة أن حاجة الأمة إلى وحدة الصف ولم الشمل وجمع الفرقة وتحصيل الألفة وتوافق الكلمة؛ حاجة ماسة وضرورة ملحة، فقد أضرَّ بها الخلاف، وآذتها الفرقة، وأساء إليها التشرذم، وأنهكها التباعد، وأتعبها التنازع، وأنصبها التناحر، وأرهقها التنافر بين أبنائها، على مدار تاريخها، وقد حذر الله تبارك وتعالى من سوء عاقبة ذلك، فقال سبحانه: **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)**[2]، وعليه؛ فينبغي للأمة الإسلامية بوجه عام، والمشتغلين بالدعوة إلى الله تعالى بوجه خاص، أن يحققوا الإدراك التام، ويحصلوا الاستيعاب الكامل لأسس الوحدة الإسلامية، وآليات تحقيقها وسبل تحصيلها، بالوقوف على كل العوائق التي تعيق قيامها، وكافة العوارض التي تعارض نهوضها، وجميع القواطع التي تقطع دوافعها، وعموم المثبطات الي تثبط بواعثها، وشتى المكدرات التي

---

[1] – سورة آل عمران، جزء من الآية رقم: (١٠٧).

[2] – سورة الأنفال جزء من الآية رقم: (٤٦).



تعرقل مسيرتها، وكافة الحوادث التي تمزق أواصرها، وجميع المنغصات ترجئ بعثها في نفوس المسلمين، خاصة أن التراث الإسلامي والتاريخ الدعوي يعد من أنفس إسهامات البشرية على الإطلاق، فهو نتاجٌ لفهم ثاقب دقيق بالآيات القرآنية، ووعي راسخ عميق بالسنة النبوية، متسمٌ بسلامة المنهج، ورسوخ المنشأ، وتجذر المنبت، وصفاء المنبع، وطهارة المورد، ونقاء المشرب، فضلًا عن المكانة السامية والمنزلة العالية لأئمة المذاهب في عيون الناظرين، وعقول المستفيدين، ونفوس التابعين، وضمائر الطالبين؛ لما اتسموا به من مناقب وفضائل تفردوا بها في شتى النواحي العلمية، والاتجاهات الفكرية، وجميع الجوانب الأخلاقية، والمسارات السلوكية، التي بدورها أثرت في تكوين التراث الإسلامي، وتعزيز قيم الدين ومقاصده الرئيسة عبر العصور.

ولقد كان الإمام الشافعي رحمه الله في مقدمة هؤلاء العلماء الربانيين والدعاة المخلصين، المشتغلين بالدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية فكرًا، والمجددين لطريقها نهجًا، والداعين إليها قولًا، والممتثلين لها سلوكًا، والمطبقين لها عملًا، من خلال جمع الأمة على منهجية علمية، تقوم على الانطلاق من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وترتيب مصادر الاستدلال وبيان قيمتها، وكيفية التعامل مع أدلتها، وترسيخ حجيتها، وضبط مسار الاجتهاد، وإحكام طرق الاستدلال، وتأسيس قواعد الاستنباط، والرؤية الجامعة للتوفيق بين الأدلة ومنهجية التفكير والتحليل؛ فتعددت جهوده العلمية، وتنوعت دروبه العملية، من أجل تحقيق هذه الوحدة؛ لما رسخ في قرار نفسه، ولازم نشأته، وصاحب تأسيسه المنهجي، ووافق تكوينه الفكري، ووائم تسلسله الثقافي، ونسج إعداده المعرفي، من ضرورة السعي إلى تعزيز وحدة الأمة الإسلامية ولزوم هذا المقصد السامي والعمل على تحقيقه في أرض الواقع.



لذا؛ جاء هذا البحث ليبين المنهجية الشاملة للإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة، وإيضاح منابعها، وفهم مراميها، ومحاولة الاستفادة منها، ومن ثم معالجة أسباب الفرقة والتناحر ودواعي التشرذم والتنافر في واقعنا المعاصر، الناتجة عن قلة العلم أو ضعف الصلة به، وضيق أفق الفهم، والتحيز الفكري والأيديولوجي، والتعصب المذهبي والطائفي، ومجافاة الهدي النبوي.

هذا، والمعني المقصود من عنوان البحث: هو التأصيل العلمي والتأسيس المصدري والتقعيد الدعوي لمنهجية الإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة، والوقوف على الجهود الذاتية التي بذلها، والخطوات العملية التي اتخذها، والمسارات العلمية التي سلكها، والأسس الجلية التي انطلق منها واعتمدها، والتي بدورها أسهمت في تحقيق هدفه وبلوغ مرامه وإنجاز غايته، ثم بيان الأثر الدعوي لهذه المنهجية المباركة، في محاولة للاستفادة منها في العصر الحاضر ومعالجة الواقع الدعوي، من خلالها.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ – أهمية الموضوع:

تتضح أهمية الموضوع من خلال ما يلي:

أن وحدة الأمة الإسلامية غاية شرعية وفريضة دينية، أمر الله بها في كتابه الكريم وقررها النبي صلى الله عليه وسلم في سنته الشريفة، فضلًا عن أنها أضحت حاجة لازمة، في عصر تفرقت فيه الأمة؛ بسبب كثرة الخلاف، ووهنت أمام أعدائها لضعف الصلة الفاعلة بالإسلام، فتكالبوا عليها من كل حدب وصوب.

أن منهجية الإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة؛ منهجية فذة نتجت عن عبقرية فريدة، فاتسمت بالشمولية الهائلة، والترتيب المحكم المتجانس،



كما أن أثرها الدعوي؛ أثر بارزٌ في جمع وتآلف الأمة، وحافلٌ في رأب الصدع وتوحيد الكلمة.

أن وحدة الأمة واعتصامها بشرع ربها واعتزازها بدينها؛ سبيل قوتها، ومبعث نهضتها، وطريق ريادتها، وإن أهوى ما ينشده أعداءُ الإسلام؛ هو تمزيق الأمة وتشتيت شملها وتناحر أبنائها.

ب- أسباب اختيار الموضوع:

تعددت الأسباب التي دفعت الباحث إلى تناول هذا الموضوع، ومنها ما يلي:

١- اتسمت منهجية الإمام الشافعي رحمه الله في دعوته إلى وحدة الأمة بالعديد من الخصائص اللازمة لها، التي كشفت عن قيمته العلمية وملكاته الشخصية ونبوغه الألمعي، مما يستلزم الوقوف عليها وبيان قيمتها، ومحاولة الاستفادة منها.

٢- تعد منهجية الإمام الشافعي رحمه الله في دعوته إلى وحدة الأمة تراثًا حيًا يشهد على العديد من الأحداث التاريخية، في كافة المجالات الدينية والدعوية والعلمية ....، فهي جديرة بالبحث والدراسة.

٣- التحذير من اتساع الهوة بين أبناء الأمة الإسلامية في العصر الحاضر وتفتت أواصر الصلة بينها.

جـ – الهدف من البحث:

١- الكشف عن المنهجية العلمية والجهود الدعوية والعملية للإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة، من خلال بحث خاص يعتمد على الاستقراء والتحليل والاستنباط في استخراج المعاني الجليلة، التي جاءت نَتَاجًا لوعي عميق بمصادر الإسلام، وفهم دقيق لمقاصده، واستيعاب تام للغة العرب.



٢- الإسهام في تعزيز وحدة الأمة من خلال بيان الدور الدعوي لعلماء الإسلام وأئمة المسلمين، وإيضاح مدى حرصهم الشديد على حراسة الدين، وبلوغ أهداف الدعوة وحفظ مقاصدها والعمل على تحقيقها.

د – تساؤلات الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة الآتية:

١ – ما المفهوم لمنهجية الإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة؟

٢ – ما أثر النشأة في تعزيز منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي رحمه الله؟

٣ – ما أهم الجهود الفكرية والعملية للإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة؟

٤ – ما أهم الآثار المترتبة على منهجية الإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة في أركان الدعوة؟

هـ- منهج البحث والدراسة:

إن ظروف البحث تلزم أن يتم تناوله وفق مناهج علمية متعددة؛ لذا، سيتبع الباحث – بمشيئة الله تعالى- في هذا البحث، عدة مناهج اقتضاءً لموضوعه، ومنها:

١ – المنهج الاستقرائي: وهو (تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعا)[١]، ومن خلال هذا المنهج يتم تتبع العديد من الأفكار والنظريات والجهود والآثار والمصادر والمراجع، ثم استخراج المادة العلمية

١- المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، د/عوض الله حجازي، (ص: ١٨٤)، ط٦، دار: الطباعة المحمدية بالقاهرة.



لموضوع البحث، للوقوف على الرؤية الشاملة لمنهجية الإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة.

٢ – المنهج التحليلي: وهو (تحليل الظواهر إلى عناصرها الأولية)[١]، عن طريق (دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكًا أو تقويمًا أو تركيبًا)[٢]، فهو (يعتمد على جمع المعلومات التي تتعلق بنشاط من النشاطات ثم تحليل تلك المعلومات لاستخلاص ما يمكن استخلاصه منها)[٣]، ومن خلاله يتم إعادة المادة العلمية إلى مبادئها الأولى وتحليلها وتوزيعها على البحث.

٣ – المنهج الاستنباطي: وهو (طريقة من طرق البحث، لاستنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وغيرها، وفق ضوابط وقواعد محددة ومتعارف عليها)[٤]، وتظهر الحاجة إلى هذا المنهج عند استنباط منهجية الإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة، وبيان الآثار المترتبة عليها في الداعية والمدعو وموضوع الدعوة.

هذا، ولا يستغنى البحث عن سائر المناهج الأخرى التي يحتاج إليها، كالمنهج الاستردادي وغيره.

١- مناهج البحث العلمي، د/ عبد اللطيف العبد، (ص: ٥)، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ.

٢- أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د/ فريد الأنصاري، (ص: ٩٦)، مطبعة النجاح الجديدة، –الدار البيضاء، منشورات الفرقان، ط١: ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٣- مناهج البحوث وكتابتها، أ/ يوسف مصطفي القاضي، (ص: ٨٩) طبعة دار المريخ، الرياض: ١٤٠٤هـ.

٤- مناهج البحث، د/ مقداد يالجن، (ص: ٢٢)، طبعة: دار عالم الكتب، بالرياض، عام: ١٤١٩هـ، وينظر: مناهج البحث العلمي، د/ عبد اللطيف العبد، (ص: ١٥).



و- الدراسات السابقة:

لقد توافرت الدراسات العلمية التي تناولت سيرة ومسيرة الإمام الشافعي رحمه الله، في العديد من المجالات، غير أني لم أقف على دراسة معينة أو مرجع محدد، ركّز نصًا على بيان مضمون البحث وما ترتب عليه من آثار في أركان الدعوة، بالرغم من أهمية هذا الموضوع العلمية والتاريخية والواقعية؛ فأضحت دراسته قضية مُلحّة، دفعت إلى تناوله وبيان أثره في أركان الدعوة، لكن خلال البحث عبر الشبكة العنكبوتية تبين وجود الدراسات التالية:

١- "النزعة العقلية عند الإمام الشافعي رحمه الله ومنهجها"، وهو بحث اختص بتناول فكريتين رئيستين، "الأولى: التأمل وأثره في مواقف الإمام الشافعي الفكرية، البنائية منها والنقدية، من خلال تحليل نص مقابلة الإمام الشافعي بالإمام مالك رحمهما الله وموقف الإمام الشافعي منه، والثانية: موقف الإمام الشافعي من علم الكلام، وعرض آراء العلماء في توجيه هذا الموقف ثم الترجيح بينها"[١].

٢- "الدعوة إلى وحدة المسلمين في فكر الإمام الشافعي "دراسة وصفية تحليلية""، وهو بحث تقيد بتناول رأي الإمام الشافعي في بعض القضايا العقدية؛ بغية بيان الجانب العقدي ودوره في وحدة الأمة، وقد نص الباحث على ذلك بنفسه في المقدمة، فقال: (وسيقتصر الباحث في بحثه على الجانب العقدي الذي كان للإمام الشافعي رحمه الله رحمة واسعة باع طويل...، ركز الباحث هنا على الجانب الأصيل، ألا وهو الجانب العقدي)[٢].

---

١ - النزعة العقلية عند الإمام الشافعي ومنهجها، أد/ محمد إبراهيم الفيومي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، (ص: ١٠ - ٣٩)، العدد الأول، عام: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢ - بحث بعنوان: الدعوة إلى وحدة المسلمين في فكر الإمام الشافعي، "دراسة وصفية تحليلية"، د/ خالد حسين حمدان، (المقدمة)، مجلة الجامعة الإسلامية، بغزة، العدد: (١٧١)، (ص: ٣ ،٩٠)، من البحث، = (ص: ٤٨١،٤٨٧) من العدد.



ومن خلال ما سبق يمكن القول إن بحثي بفضل الله تعالى يختلف اختلافًا جوهريًا عن هذه الدراسات السابقة وغيرها في: المضمون والهدف والخطة التفصيلية، من حيث الاعتبارات التالية:

١- ركّز بحثي على بيان المنهجية العلمية الشاملة، والرؤى العقلية الجامعة، والجهود العملية المتنوعة للإمام الشافعي رحمه الله، والأسس المتكاملة التي انطلق منها في دعوته إلى وحدة الأمة، من خلال بيان طريقته في التأصيل العلمي والتأسيس المنهجي، في شتى الجوانب الدعوية.

٢- اعتنى بحثي ببيان أهمية النشأة ممثلة في: الأسرة ثم البيئة ثم التعليم، ودورها في تعزيز المنهجية العلمية عند الإمام الشافعي في الدعوة إلى وحدة الأمة.

٣- اهتم بحثي ببيان أثر منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي في أركان الدعوة.

ز - تقسيم البحث:

يتكون هذا البحث من: (مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، والنتائج، والتوصيات).

أولًا: المقدمة: وتشتمل على: (أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والهدف من البحث، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وتقسيم البحث).

ثانيًا: التمهيد: ويشتمل على: (تحرير مفردات عنوان البحث).

ثالثًا: تقسيم البحث، ويشتمل على ما يلي:

المبحث الأول: دور النشأة في تعزيز منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دور الأسرة في تعزيز منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي.



المطلب الثاني: دور البيئة في تعزيز منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي.

المطلب الثالث: دور التعليم في تعزيز منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي.

المبحث الثاني: الجهود المنهجية للإمام الشافعي في الدعوة إلى وحدة الأمة:

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الجهود الفكرية للإمام الشافعي في الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية.

المطلب الثاني: الجهود العملية للإمام الشافعي في الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية.

المبحث الثالث: أثر منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي في الداعية.

المطلب الثاني: أثر منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي في المدعو.

المطلب الثالث: أثر منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي في موضوع الدعوة.

وأخيراً الخاتمة: وتتضمن: (أهم النتائج – أهم التوصيات – قائمة المصادر والمراجع –الفهرس).



*- ثانيًا التمهيد:

ويشتمل على: تحرير مفردات عنوان البحث:

١- **المفردة الأولى، (منهجية):**

أ- المدلول اللغوي:

المنهجية لغة: (من الفعل نَهَجَ، وهو الطريقُ البينُ الواضح، ومنه المنهاج والجمع مناهج)[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[٢]، أي: (سبيلًا وسنة، وأما "المنهاج": فهو الطريق الواضح السهل)[٣]، وعليه فالمنهجية هي: الطريقة التي يسلكها المرء على بينة ووضوح، وهذا شرطها.

ب- التعريف الاصطلاحي:

المنهجية من المنهج وهو عند علماء الدعوة: (الطريق البين الذي يسلكه الداعية - المتمكن من أسباب الفاعلية-، تجاه المدعو على أساس علمي، لتحقيق الهدف من العمل الدعوي)[٤]، أما المنهجية فهي: (حلقة وصل بين النموذج المعرفي والمناهج التطبيقية، وهي علم دراسة الطرائق وبنائها وتشغيلها وتفعيلها، فهي

١- ينظر: معجم مقاييس اللغة، الإمام ابن فارس، (٥/ ٣٦١)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، والمعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى وآخرون)، (٢/ ٩٥٧)، دار الدعوة، باختصار.

٢- سورة المائدة، جزء من الآية رقم: (٤٨).

٣- تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، (٣/ ١٢٩)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢: ١٤٢٠هـ، بتصرف يسير.

٤- منهج الدعوة إلى الله، أد/ حسين مجد خطاب، (ص: ١٧)، طبعة الرضوان، ط١٤: ١٤١٣هـ.



منهج المناهج بهذا الاعتبار)[١]، وعليه فالمنهجية هي الطريقة الشاملة المتكاملة المتبعة في المعرفة والفهم والبحث والدراسة، على بينة ووضوح وتخطيط وإحكام، وهي أعم وأشمل من المنهج.

٢- المفردة الثانية، (الإمام الشافعي) رحمه الله، وفيما يلي التعريف به:

الإمام الشافعي رحمه الله هو: الفقيه المجتهد الإمام العلم (أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي، ثم المطلبي، الشافعي، المكي، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، نسيب النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب، أمه فاطمة بنت عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والأقوى أن أمه أزدية، ولد الإمام بغزة باتفاق، عام مائة وخمسين من الهجرة، ومات أبوه شابًا، فنشأ يتيمًا في حجر أمه، فخافت عليه الضيعة، فتحولت به وهو ابن عامين، فنشأ بمكة، وأقبل على الرمي، حتى فاق فيه الأقران، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة، ثم أقبل على العربية والشرع، فبرع في ذلك، ثم حبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه، وأخذ العلم ببلده عن أكابر العلماء، وارتحل -وهو ابن نيف وعشرين سنة-، وقد أفتى وتأهل للإمامة إلى المدينة، فحمل عن مالك بن أنس الموطأ، عرضه من حفظه، وحمل العلم عن غيره[٢]، وصنف التصانيف، ودون العلوم، ورد على الأئمة متبعًا الأثر، وصنف في أصول الفقه وفروعه، وبعد صيته، وكان يحيى بن معين يقول: "محمد بن

---

١ - أصول المنهجية العلمية، د/ رزان محمد صقال، (ص: ١٠، ٢٤)، طبعة: المعهد العالي للفكر الإسلامي، أمريكا، ط١: ١٤٤٦هـ، وينظر: قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، مجموعة من المؤلفين، تحرير: نصر نحمد عارف، (ص: ١١)، طبعة: المعهد العالي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦م.

٢ - ينظر: سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، (١٠/ ٦ وما بعدها)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة، ط٣: ١٤٠٥هـ.



إدريس الشافعي في الناس بمنزلة العافية للخلق، والشمس للدنيا، جزاه الله عن الإسلام وعن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم خيرًا"، تكاثر عليه الطلبة، سكن مصر، وبها توفي آخر يوم من رجب، ومات سنة أربع ومائتين، عن أربع وخمسين سنة)[١].

٣- **المفردة الثالثة، (الدعوة):**

أ- المدلول اللغوي:

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة في لغة العرب، ومن معانيها: (النداء والطلب والحث والبلاغ والرغبة والسوق إلى[٢]، ومنها: الدين والعبادة والتوحيد والطاعة، قال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ ﴾[٣]، ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٤]، ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٥])[٦]، فهي تعني: الدين وتبليغه معًا.

---

١ - ينظر: التاريخ الكبير، الإمام البخاري، (١/ ٤٢)، تحقيق: القاضي عبد الرحمن المعلمي، طبعة: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، وآداب الشافعي ومناقبه، الإمام ابن أبي حاتم، (ص: ١٧ وما بعدها)، تحقيق: الشيخ/ عبد الغني عبد الخالق، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١: ١٤٢٤هـ، وطبقات الفقهاء الشافعية، الإمام ابن الصلاح، (١/ ١٤٤ وما بعدها)، تحقيق: الشيخ/ محيي الدين علي نجيب، طبعة: دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط١: ١٩٩٢م، وسير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي (١٠/ ٥ وما بعدها)، وطبقات الشافعية الكبرى، الإمام تاج الدين السبكي، (٢/ ٧١ وما بعدها)، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو، طبعة: دار إحياء الكتاب العربي.

٢- ينظر: لسان العرب، الإمام ابن منظور، (١٤/٢٥٨)، طبعة: دار صادر–بيروت، ط٣: ١٤١٤هـ، والمعجم الوسيط، (١/٢٨٦ وما بعدها).

٣- سورة الرعد، جزء من الآية رقم: (١٤).

٤- سورة مريم، جزء من الآية رقم: (٤٨).

٥- سورة غافر، جزء من جزء من الآية رقم: (١٤).

٦- قام بجمع هذه المعاني، أد/ سعيد محمد الصاوي، في كتاب أصول الدعوة والثقافة الإسلامية، (ص ٦- ١٠)، ط١: ١٤٢٥هـ، وقد قمت باختصارها ومطابقة النصوص بمصادرها الأصلية.



ب- التعريف الاصطلاحي:

تبارى العلماء في بيان المعنى الاصطلاحي للدعوة وتحديد مفهومها؛ بحصر سماتها وخصائصها، كلٌ وفق رؤيته وقدراته التي منَّ الله بها عليه؛ فخرجوا بتعريفات متعددة وتعاريف متنوعة، لا تخرج في جملتها عن المعنى اللغوي، فمنها ما يعرّف الدعوة بالدين الإسلامي ويربطها به ربطًا وثيقًا ويعصبها به عصبًا محكمًا، ومن جملتها: أن الدعوة: (دين الله الذي ارتضاه للعالمين تمكينًا لخلافتهم، وتيسيرًا لضرورتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعايةً لشئونهم، وحمايةً لوحدتهم، وتكريمًا إنسانيتهم، وإشاعةً للحق والعدل فيما بينهم)[1]، ومنها ما يعرّف الدعوة بالسبيل إليها والهدف والغاية منها، فيطلقها على عملية تبليغ الدين ونشر الإسلام، ومن جملة هذه التعريفات أن الدعوة هي: (العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة، وشريعة، وأخلاق)[2].

وهذه الجملة من التعريفات وغيرها[3] على تنوع ألفاظها وتعدد عباراتها؛ تعد من أقرب التعريفات إلى القبول، لأنها تجمع بين الدين بأسسه ومصادره وبين

---

[1]- المدخل إلى علم الدعوة، أد/ محمد البيانوني، (ص: ١٧)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣: ٢٠٠١م.

[2]- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أد/ أحمد غلوش، (ص١٠)، الناشرون: دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني ببيروت، ط٢: ١٤٠٧هـ.

[3]- ينظر: الدعوة إلى سبيل الله أصولها وميادينها، أد/ عبد الخالق إبراهيم إسماعيل، (ص: ١٠)، مطبعة الأمانة القاهرة، ط١: ١٤٠٧هـ، والدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، أد/ رؤوف شلبي، (ص: ٣٢)، دار القلم الكويت ط٣: ١٤٠٢هـ، ووسائل الدعوة الإسلامية، أد/ عبد الرحمن جيرة، (ص: ٨)، ط٢: ١٤٣٩هـ، ومحاضرات في تاريخ الدعوة إلى الله تعالى، أد/ مخلوف محمد جلاجل، (ص: ٣٣)، طبعة الأنوار المحمدية، عام: ١٤٣٠هـ.



تبليغه ونشره والدعوة إليه، وهذا هو المدار الذي تدور حوله اجتهادات ساداتنا علماء الدعوة جزاهم الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين.

٤- **المفردة الرابعة، (وحدة):**

أ- المدلول اللغوي:

(مادة "وحد": أصلٌ واحدٌ يدل على الانفراد، ومنه الواحد وهو مبني على انقطاع النظير وعوز المثل، والوحيد وهو مبني على الوحدة والانفراد)[١].

ب- التعريف الاصطلاحي:

الوحدة من الاتحاد، وهو: (امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا؛ لاتصال نهايات الاتحاد)[٢]، وعليه؛ فالمراد بالوحدة: أن يصير الشيء لحمة واحدة من خلال امتزاج مكوناته أو أفراده.

عرفت الوحدة بعدة تعريفات منها: (اتحاد الدول أو البلاد والأفراد والجماعات لسائر أمور حياتهم ومعاشهم وسيرتهم وغايتهم، وبموجب هذه الوحدة يصبح الجميع شيء واحد أو أمة واحدة)[٣].

بهذا يتبين أن وحدة الأمة تعني امتزاجها وتلاحمها بحيث لا تتجزأ ولا تتعدد ولا تقبل الفرقة والانقسام، فضلًا عن امتناع تبدلها وانتفاء تحولها وانقطاع الخلاف بين أبنائها.

---

١ – ينظر: معجم مقاييس اللغة، (جـ ٦ / ص: ٩٠)، ولسان العرب (٣/ ٤٤٨- ٤٥١)، ومختار الصحاح، الإمام زين الدين الحنفي، (ص: ٣٣٤)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، طبعة: المكتبة العصرية–الدار النموذجية، بيروت– صيدا، ط٥: ١٤٢٠هـ، باختصار وتصرف يسير.

٢ – التعريفات، الإمام الجرجاني، (ص: ٨-٩)، تحقيق: جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية ببيروت، ط١: ١٤٠٣هـ، باختصار وتصرف يسير.

٣ – وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية، أد/ أحمد عمر هاشم، (ص: ٧)، بحث مقدم للملتقى الأول للعلماء المسلمين تحت عنوان "وحدة الأمة الإسلامية"، بمكة المكرمة، عام: ١٤٢٧ هـ.



٥- **المفردة الخامسة (الأمة):**

أ- المدلول اللغوي:

الأمة: (الهمزة والميم أصل واحد، يتفرع منه أربعة أبواب، وهي الأصل والمرجع والجماعة والدين، وهذه الأربعة متقاربة، وكذلك كل من كان على دين حق مخالف لسائر الأديان، وكل قوم نسبوا إلى شيء وأضيفوا إليه، وكل جيل من الناس)[١]، والأمة تأتي بمعنى: (الجماعة)[٢].

ب- التعريف الاصطلاحي:

الأمَّة في الاصطلاح تعني: (الملة، وهذه إشارة إلى ملة الإسلام، والأمّة الجماعة الكثيرة، ويقال لأهل كل عصر: أمّة، وفي حدود المتكلمين: الأمّة هم المصدقون بالرسول صلى الله عليه وسلم دون المبعوث إليهم، وهم الذين يعتبر إجماعهم، والمراد ها هنا: أهل العصر)[٣]، ويراد بالأمة أيضًا: (الصنف الواحد على مقصد واحد)[٤]، أو هي: (الجماعة التي تؤم، أي تقصد لأمر ما، وتطلق على أتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد)[٥]، وهذا الاجتماع لازم لمعنى الأمة، أما المراد بوحدة الأمة فهو: (الاندماج والتوحد، وذلك على أساس الإسلام،

---

١ - معجم مقاييس اللغة، (جـ١ / ص: ٢١ - ٢٧)، باختصار.

٢ - مختار الصحاح، (ص: ٢٢)، ولسان العرب (جـ ١٢/ ص: ٢٨)، باختصار.

٣ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الإمام الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، (٣/ ٦٠٨)، تحقيق عبد الرازق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣: ١٤٠٧هـ، بتصرف يسير.

٤ - زاد المسير في علم التفسير، الإمام ابن الجوزي، (١٧٧/١)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبعة: دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، عام: ١٤٢٢هـ.

٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الإمام الألوسي، (٢/ ٢٣٧)، تحقيق: على عبد الباري عطية، طبعة: دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤١٥هـ.



الذي يربط عقديا بين البشر المؤمنين برسالته، فيلغي بذلك بينهم جميع أشكال الروابط الأخرى، من أصول عرقية ولغوية وغيرها، بحيث يصبح القاسم المشترك بين أفراد هذه الجماعة البشرية، هو الدخول في دين الإسلام، كعقيدة ونظام حياة)[1]، وعليه؛ فإن المراد بمنهجية الإمام الشافعي في الدعوة إلى وحدة الأمة: الاستيعاب لمراحل نشأته القوية وبيان استراتيجيته الشاملة ودعوته وأطوار جهوده وسيرته، والآثار المترتبة عليها في أركان الدعوة.

٦- **المفردة السادسة، (دراسة):**

أ- المدلول اللغوي:

الفعل درس في اللغة يدور حول عدة معان، منها: (الانمحاء، وتناول الأثر بالحفظ، وعُبر عن إدامة القراءة بالدرس)[2]، ومن معانيها المجازية: (درس الناقة: راضها)[3]، (وأصل الدراسة: الرياضة والتعهد للشيء)[4]، فالدراسة تعني مداومة القراءة والتعلم وتناول الأثر بالحفظ، من خلال تكرار النظر.

ب- التعريف الاصطلاحي:

الدراسة اصطلاحًا: (قراءة الكتب وحفظها ودرسها، وتناول المتخصص

---

[1] - وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية -دراسة موضوعية-، للباحث/ أحمد منصور أبو عودة، رسالة ماجستير في الحديث وعلومه - كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية، بغزة، (ص: ١٧)، عام: ١٤٣٠هـ.

[2] - ينظر: المفردات في غريب القرآن، الإمام الراغب الأصفهانى، (ص: ٣١١)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، طبعة: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، باختصار.

[3] - أساس البلاغة، الإمام الزمخشري، (١/٢٨٣ وما بعدها)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.

[4] - لسان العرب (٦/ ٧٩)، وما بعدها .



العناصر بالشرح والإيضاح)[1]، بهذا يتبين أن الدراسة بمفهومها العام: إطار شامل يلزم عنه بذل الجهد، وتنمية القدرات بمجموع أدوات الاطلاع والاستيعاب والتصفح والاستقراء، والفهم والإدراك والاستنباط، والكتابة والتدوين والتوثيق والتصنيف والتمحيص والغربلة، والحفظ والصم والاستظهار، والمذاكرة والمدارسة والتعلم، أو بعض منها.

٧- **<u>المفردة السابعة، (تأصيلية):</u>**

أ- <u>المدلول اللغوي:</u>

التأصيل لغة: (الشيء الثابت، وأصل الشيء: ما يستند وجوده إليه، وما يبنى عليه)[2]، وعليه؛ فإن معنى التأصيل هو: رد الشيء إلى أصله؛ وذلك لأن (حقيقة أصل الشيء ما كان عليه معتمده، وما بدئ منه)[3]، فالتأصيل يعني بداية الشيء وأساسه المادي أو المعنوي وما يستند إليه ويقوم به ويبنى عليه.

ب- <u>التعريف الاصطلاحي:</u>

التأصيل اصطلاحًا: (رد الألفاظ وبيان أصلها الذي انحدرت منه من خلال كل وسيلة تؤدي إلى المعنى)[4]، والتأصيل في الشرع هو: (رد الحكم إلى أصله

---

[1] - ينظر: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، (ص: ٦٧)، الناشر: دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر- دمشق، ط١: ١٤٢١هـ.

[2] - تاج العروس من جواهر القاموس، الإمام الزَّبيدي، (٢٧/٤٤٧ - ٤٥٢)، مجموعة من المحققين، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، بتصرف يسير واختصار.

[3] - معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة، الإمام العسكري، (ص: ٢٨٦)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قُم»، ط١: ١٤١٢هـ، باختصار.

[4] - يراجع: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الإمام الفارابي، (١/٢٠)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبعة: دار العلم للملايين - بيروت، ط٤: ١٤٠٧هـ.



الشرعي من كتاب الله، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو موقف السلف الصالح رضوان الله عليهم)[1]، وعليه؛ فإن المراد بالدراسة التأصيلية هو تطور الإدراك الناتج عن دراسة أي موضوع ومداومة القراءة فيه وتكرار الاطلاع عليه وإدامة النظر إليه وتناول أثره بالحفظ وتعلم ما فيه، من خلال رده إلى أصوله التي انحدر منها وجذوره التي نتج عنها.

***- ثالثًا تقسيم البحث:**

---

[1] - تأصيل قضايا الدعوة الإسلامية: الماهية والأهمية والكيفية، أد/ محمد إسماعيل حنفي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بالسودان، العدد(١٣)، (ص: ١٧)، صفر ١٤٣٠هـ- فبراير ٢٠٠٩م.



المبحث الأول

دور النشأة في تعزيز منهجية الدعوة

إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي([1]):

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دور الأسرة في تعزيز منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي:

إن الأسرة أقوى عوامل البناء والتأثير في نفوس النشء وسلوك الأفراد وتكوين شخصية الأبناء، فضلًا عن سلامة المجتمع وقوة بنائه وتماسك لبناته وصلابة هيكله، وهي الحصن المنيع والدرع الحصين في حراسة الأبناء وحفظ سلامتهم وحماية فطرتهم، والزود عن حياض عقيدتهم وصيانة سلوكياتهم، والعناية بأخلاقهم والقيام بحق الله فيهم، فإن رعاية الطفل وتغذيته على أهميتها؛ أمر أيسر وأسهل من تربيته وتعاهده بالقيم والأخلاق الفاضلة، فهي لا تعدو كونها محاولة للحفاظ عليه وإبقائه قيد الحياة، وهو أمر فطري وسلوك غريزي تشترك فيه كافة المخلوقات وسائر الكائنات، ولا يقتصر على البشر وحدهم؛ لكن الأمر الأشق والأدق، هو الرسالة السامية التي أودعها الله الوالدين، والأمانة الكبرى التي حمّلهم إياها، وهي تنشئة الأطفال تنشئة سليمة وتربيتهم على مكارم الأخلاق وحسن الصفات وجميل العادات؛ وذلك لأن (حسن الخلق لا يؤسس في المجتمع بالتعاليم المرسلة، أو الأوامر والنواهي المجردة، فالتأديب المثمر يحتاج إلى تربية طويلة،

---

[1] – يعد هذا المبحث تأصيلًا لأهم أسس التأثير ودعائم التأسيس لمنهجية الإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة، من خلال بيان دور النشأة في تعزيز هذه المنهجية في نفسه وترسيخها في عقله وفكره.



ويتطلب تعهدًا مستمرًا، ولن تصلح تربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة)[١]، فلا بد من القدوة العملية والأسوة الخلقية في تربية الأبناء وغرس قيم الإسلام في نفوسهم، هذا؛ وقد نبه القرآن الكريم أكد على هذا المعنى في العديد من الآيات الكريمة، أذكر منها قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٢]، أي: (استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة، واصطبر أنت على فعله)[٣]، وفي الآية دلالة على ضرورة تعهد الأسرة بالتربية والتوجيه بالقدوة العملية والأسوة الحقيقية وامتثال التوجيهات والصبر عليها.

ولقد كان لأسرة الإمام الشافعي ممثلة في أمه رحمها الله دورٌ عظيم وجهد بارز في تربيته على مكارم الأخلاق وجميل الصفات وحميد العادات، وتأسيسه على حب العلم ولزوم مجالسه، وبذل النفس في سبيله، وإنفاق الوقت في تحصيله، مما وطّد منهجيته في الدعوة إلى وحدة الأمة، بما يلي:

١- الحرص على حفظ نسب الإمام الشافعي رحمه الله:

قال رحمه الله: (ولدت بعسقلان، فلما أتى عليّ سنتان؛ حملتني أمي إلى مكة)[٤]، وقال: (خافت أمي علي الضيعة، وقالت: الحق بأهلك، فتكون مثلهم،

---

١ – خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالي، (ص: ١٢)، الناشر: دار نهضة مصر، ط١، باختصار.

٢ – سورة طه، جزء من الآية رقم: (١٣٢).

٣ – تفسير القرآن العظيم، (٥/ ٣٢٧).

٤ – آداب الشافعي ومناقبه (ص: ١٩) ومناقب الشافعي، الإمام البيهقي، (١/ ٧٤)، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة: مكتبة دار التراث – القاهرة، ط١: ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م، وقد نقل الإمام الذهبي أن الإمام الشافعي: ولد بغزة، سنة خمسين ومائة، وحمل إلى مكة ابن سنتين، ينظر: سير أعلام النبلاء، ط الرسالة، (١٠/ ١٠)، بينما جمع البيهقي بين الروايتين، ينظر: مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١/ ٧٣ وما بعدها)، وأزال الحافظ ابن حجر الإشكال بقوله: (الذي يجمع الأقوال، أنه ولد بغزة عسقلان، ولما بلغ سنتين حولته أمه إلى الحجاز ودخلت به



فإني أخاف أن تغلب على نسبك، فجهزتني إلى مكة، فقدمتها وأنا ابن عشر، فصرت إلى نسيب لي، وجعلت أطلب العلم، فيقول لي: لا تشتغل بهذا، وأقبل على ما ينفعك، فجعلت لذتي في هذا العلم وطلبه، حتى رزقني الله منه ما رزق)[١]، وقد تضمنت هذه النصوص الكثير من الدروس الدعوية والقيم التربوية، المتمثلة في الموازنة بين الرعاية والعناية والتربية والتنشئة، والتأسيس على حفظ الأصل من الضياع، والهجرة في سبيل حمايته والإبقاء عليه، فضلًا عن غرس قيمة العلم في النفوس وترسيخ مقامه في القلوب ومزجه بالمهج والأرواح منذ الصغر.

ولعل السر في حرص هذه الأم الكريمة العاقلة على حفظ نسب الإمام الشافعي رحمه الله؛ هو ما لقريشٍ من الحظ الأوفر والنصيب الأوفى من بواعث التقديم والصدارة في نفوس العرب، كطيب الأصل ووفرة الأدب والمروءة وعزة النفس وكثرة العلم ورجاحة العقل وقوة الرأي، وغير ذلك، ولا أدل على هذا المعنى من توافر الأبواب الكاملة التي عقدها أئمة الحديث في كتبهم لبيان مناقب القرشيين وفضائلهم، حيث ضمنوها العديد من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في

إلى قومها، وهم من أهل اليمن لأنها كانت أزدية فنزلت عندهم، فلما بلغ عشرًا خافت على نسبه الشريف أن ينسى ويضيع فحولته إلى مكة)، ينظر: توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس، للحافظ ابن حجر، (ص: ١٠٩)، تحقيق: عبد الله محمد الكندري، طبعة: دار ابن حزم، ط١: ١٤٢٩هـ، وسير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٠/ ١٠)، قول المحقق بالهامش، وينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الإمام أبو نعيم الأصبهاني، (٩/٦٧ – ٦٨)، طبعة: دار الكتب العلمية– بيروت، (١٤٠٩هـ بدون تحقيق).

١ – آداب الشافعي ومناقبه (ص: ١٧)، مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١/ ٧٣)، باختصار.



هذا الشأن[١]، ومما يؤكد ذلك أن الإمام أحمد بن حنبل كان يقول لأبي عثمان بن الشافعي: (إني لأحبك لثلاث خلال: أنك رجل من قريش، وأنك ابن أبي عبد

---

١ – أذكر منها قول النبي :صلى الله عليه وسلم (النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ، مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ)، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، (٤/١٧٨)، برقم: (٣٤٩٥)، طبعة: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١: ١٤٢٢هـ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش، (٣/١٤٥١)، برقم: (١٨١٨)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، كما عقد الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في كتابه "مناقب الشافعي" بابًا كاملًا بيّن فيه هذا الأمر، وأوضح ما له من دلالة واضحة وإشارة قوية لفضل الإمام الشافعي رحمه الله، تحت عنوان: ("ما جاء في تخصيص قريش بالتقديم والاتباع، والتعلم منهم؛ لكثرة علمهم، ورجحان عقلهم، وقوة رأيهم، وما في بعضه من الإشارة إلى الشافعي، رحمه الله، لزيادة علمه من بين قريش بعد الصحابة، رضي الله عنهم، وانتشاره في مشارق الأرض ومغاربها، وانتفاع المسلمين به")، ثم ذكر في هذا الباب جملة من الأحاديث النبوية الشريفة في التأصيل لما سبق ذكره وتقريره، ينظر: مناقب الشافعي، للإمام البيهقي (١/ ١٧)، وفي هذا المعنى، صرّح الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله: (فقد قصدت في هذا التأليف إيراد شيء من مناقب الإمام المطلبي، ناصر الحديث النبوي، أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، رضي الله عنه، وقد سبق إلى هذا التأليف في ذلك من يتعسر استيعابهم بالذكر، أو يطمع في اللحاق بهم المتأخر ولو وسع المجال وضيق الفكر)، ينظر: توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس، للحافظ ابن حجر، (ص: ١٩)، وقال الحافظ ابن حجر: (بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تعلموا قريشا وتعلموا منها، ولا تقدموها ولا تتأخروا عنها"، وهذا مرسل قوي الإسناد وله طرق كثيرة استوعبتها في كتابي: لذة العيش في طرق حديث الأئمة من قريش، والغرض من الإشارة إليه أن الشافعي إمام قرشي؛ فيدخل في عموم الأمر بتقديم قريش على غيرهم، مع ما اختص به من نسبته إلى بني المطلب على ما تقدم ذكره، ينظر: توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس، للحافظ ابن حجر،



الله، وأنك من أهل السنة)[١]، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ("لا تعلموا قريشا وتعلموا منها، ولا تقدموها ولا تأخروا عنها، فإن للقرشي مثلي قوة الرجل من غير قريش")[٢]، والإمام الشافعي قرشي النسب باتفاق، وهذه النسبة مشهورة معروفة[٣]، ولعل استمرار هذا الشرف من بركات الأم العاقلة التي هاجرت به بعد وفاة والده وهو رضيع إلى مكة؛ لتحفظ نسبه من الضياع، عملًا بقوله تعالى: (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة)[٤]، والمعنى: (أن المؤمن حيثما ذهب وجد مندوحة وملجأ يتحصن فيه، ووجد التمنع الذي يتحصن به، ويراغم به الأعداء، ويجد في الأرض مراغما ومتزحزحًا عما يكره، وسعة من الضلالة إلى الهدى، ومن القلة إلى الغنى)[٥]، وفي الآية دلالة

(ص: ٩٨)، قال الزهري: (وما أريد بذلك إلا نبل الرأي)، مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (٢٢/١).

١ – مناقب الشافعي، للإمام البيهقي، (١/ ٧٧).

٢ – رواه الإمام البيهقي في مناقب الشافعي، وقال: (وهو مرسل جيد، وقد روى موصولا ومرسلا من أوجه أخر: عن جبير بن مطعم؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "للقرشي مثل قوة الرجلين من غير قريش"، حدثنا ابن أبي ذئب بهذا)، مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (٢١/١ – ٢٢)، باختصار.

٣ – نقل الحافظ ابن عساكر عن يحيى بن أكثم رحمهما الله، قال: (وأما الشافعي فقد كنا عند محمد بن الحسن كثيرا في المناظرة، فكان رجلًا قرشي العقل والفهم والذهن صافي العقل والفهم والدماغ سريع الإصابة أو كلمة نحوها ولو كان أكثر سماعا للحديث لاستغنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم به عن غيره من الفقهاء)، تاريخ دمشق، للحافظ ابن عساكر، (٣٠٣/٥١)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، طبعة: دار الفكر، عام: ١٤١٥هـ، وسير أعلام النبلاء ط الرسالة، (جـ ١٠ / ص: ١٧).

٤ – سورة النساء، جزء من الآية رقم: (١٠٠).

٥ – تفسير القرآن العظيم، (٢/ ٣٩١)، باختصار.

على ضمانه سبحانه للرزق وتكفله بمن هاجر في سبيله، وهذا ما فعلته الأم الكريمة وجنت ثمره وحصدت أكله.

٢- الحرص على تعلم الإمام الشافعي رغم الفقر والحاجة:

إن من خصائص أمة الإسلام أن حباها الله بنساء يعجز التاريخ عن وصف قدرهن وحصر فضلهن، ومن هؤلاء النسوة المتشحات بلباس الفضل والمتوجات بتاج الوقار والخير؛ أم الإمام الشافعي رحمها الله تعالى، فقد كانت حريصة أشد الحرص على تعليم ولدها القرآن الكريم والعلم والفقه، تبتغي بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة، رغم ما عانته من شدة الحاجة ومر الافتقار، خاصة بعد وفاة زوجها رحمه الله، ومما يؤكد ذلك ما جاء على لسان الإمام الشافعي رحمه الله: (كنت يتيمًا في حجر أمي ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، فأحفظ الحديث، أو المسألة، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف، فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة، وكانت لنا جرة قديمة فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة)[١]، وقال رحمه الله تعالى عن طلبه للعلم: (طلبت هذا الأمر عن خفة ذات يد، كنت أجالس الناس وأتحفظ، ثم اشتهيت أن أدون، وكان لنا منزل بقرب شعب الخيف، وكنت آخذ العظام والأكتاف[٢] فأكتب فيها حتى

---

١ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/٧٣)، مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١/٩٢)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٥١/ ٢٨٢)، وعن أبي العلاء رحمه الله قال: (حدثت أنه لما أسلم الى الكتاب جعل يتعلم، فإذا فرغ من درسه علم صبيان الكتاب، فنظر المعلم فإذا ما يكفيه من أمر الصبيان وينفعه أكثر من أجرته، فلم يأخذ من أمه أجرًا، فلم يزل على ذلك حتى حذق)، مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١/٩٤).

٢ – الأكتاف جمع كتف وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم، ينظر: مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١/١١١).



امتلأ في دارنا من ذلك حبان[1])[2]، وقال رحمه الله: (لم يكن لي مال، فكنت أطلب الحديث في الحداثة، فكنت أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور فأكتب فيها)[3].

وبتصفح سيرة الإمام الشافعي رحمه الله تبين بجلاء تام اتفاق الأخبار على أن الله جمع له بين الفقر والنسب الشريف، ولا شك أن (النشأة الفقيرة مع النسب الرفيع تجعل الناشئ ينشأ على خلق قويم ومسلك كريم، إن انتفت الموانع ولم يكن ثمة شذوذ، ذلك بأن علو النسب وشرفه يجعل الناشئ منذ نعومة أظفاره يتجه إلى معالي الأمور، ويتجافى عن سفسافها ويرتفع عن الدنايا، ويسعى إلى المجد بهمة وجلد، ثم إن نشأ فقيرًا مع ذلك الطموح بنسبه؛ يحس بإحساس الناس ويندمج في أوساطهم ويتعرف خبيئة نفوسهم ودخائل مجتمعهم ويستشعر بمشاعرهم)[4]، وهذا أمر نافع لكل داعية.

بهذا تتبين الأسس المنهجية التي أسهمت في ثقل منهجيته وشخصيته العلمية ورجاحة عقله وحسن أدبه وجميل صفاته، على يد أمه التي ما انفكت عن السعي إلى تربيته، ولا فترت عن الإقدام في تعليمه، فأخذت تجوب به البلدان وتعرضه

---

١ – حبان: (تثنية حب، وهو: الجرة الضخمة، والجمع أحباب وحباب)، ينظر: لسان العرب، (٢٩٥/١).

٢ – آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٢١)، ومناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١١١/١).

٣ – ينظر: آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٢٠-٢١)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٧٣) وجاء فيه: فكنت أجمع العظام، والأكتاف فأكتب فيها حتى امتلأ من دارنا ذلك جباب، ومناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١/ ١١١)، وتاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر (٢٨٢/٥١)، توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس للحافظ ابن حجر (ص: ١١٠)، وجاء فيه: فكنت أكتب في العظم فإذا كثر طرحته في جرة عظيمة.

٤ – ينظر: الشافعي حياته وعصره وآراؤه الفقهية، الإمام/ محمد أبو زهرة، (ص: ١٧)، طبعة: دار الفكر العربي: ١٩٧٨م، باختصار.

على العلماء؛ ليجمع بين شرف النسب وزينة العلم، وما صدها عن ذلك فقر ولا اعترض طريقها حاجة أو فاقة، وذلك لما حباها الله تعالى من علو الهمة وحمل همّ الأمة؛ فنذرت ولدها للعلم وجمع شمل المسلمين، فدل ذلك على فضلها وحكمتها ووفرة علمها ورجاحة عقلها[1]، فلله درها من أم جمع الله له بها شرف النسب الذي يستلزم صفاء المعدن وطلب العلا والترفع عن سفاسف الأمور، ودقة التربية التي جعلت منه صبيًا يطلب الجد ولا يلتفت للعب، وعلو الهمة والطموح الذي يحول بينه وبين الركون إلى الهوان والذل والاستسلام للفقر، حتى امتزج طلب العلم بلحمه ودمه، وقد أجاب حين سُئل كيف حرصك على طلب العلم؟، فقال: (حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته في المال، وقيل: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره)[2]، حتى أضحى علمًا من أعلام الأمة ورمزًا من رموزها على مدار التاريخ، فجمع الله بعلمه الأمه ونفع بفقهه أهل الملة.

---

[1] – يشهد لهذا قول الإمام السبكي رحمه الله: ("وكانت أمه رضى الله عنها باتفاق النقلة من العابدات القانتات، ومن أذكى الخلق فطرة، وهي التي شهدت هي وأم بشر المريسي بمكة عند القاضي، فأراد أن يفرق بينهما ليسألهما منفردتين عما شهدتا به استفسارًا، فقالت له أم الشافعي: "أيها القاضي ليس لك ذلك لأن الله تعالى يقول: {أَن تضل إِحْدَاهمَا فَتذكر إِحْدَاهمَا الْأُخْرَى}، فلم يفرق بينهما"، ثم عقب الإمام السبكي على هذه الواقعة بقوله: "وهذا فرع حسن ومعنى قوى واستنباط جيد ومنزع غريب، والمعروف في مذهب ولدها رضى الله عنه إطلاق القول بأن الحاكم إذا ارتاب بالشهود استحب له التفريق بينهم، وكلامها رضى الله عنها صريح في استثناء النساء للمنزع الذى ذكرته، ولا بأس به")، طبقات الشافعية الكبرى، للإمام السبكي، (٢/١٧٩–١٨٠).

[2] – مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (المقدمة/ ٢٠).



المطلب الثاني: دور البيئة في تعزيز منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي:

للبيئة أثر بالغ في تربية الطفل وتكوين النشء وتوجيه سلوك الفرد، وحراسة الأبناء وحفظ سلامة تربيتهم، وحماية فطرتهم وصيانة سلوكياتهم، والعناية بأخلاقهم، فهي إما أن بيئة صالحة تشارك الأسرةَ فضيلة التربية والتوجيه؛ فتعزز قيم الحق والخير وتغرس معاني الفضيلة في نفوس الأجيال القادمة، وإما أن تكون بيئة هدامة تنازع الوالدين استقرار الأسرة وسلامة الفطرة؛ فتهدم قوة بنائها وتفتت تماسك لبناتها وتهشم صلابة هيكلها، وذلك لأن (الإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم،... وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا معنى العمران الذي جعلناه موضوعًا لهذا العلم)[1].

ومن خلال النظر في سيرة الإمام الشافعي، يتبين أن البيئة التي منها خرج، وفيها درج، وعلى أرضها نشأ، وبين جنباتها ترعرع، وفي ساحاتها شبّ؛ كان لها دورٌ رئيس وتأثير بارز في تعزيز منهجيته وشخصيته على الصعيد الخلقي والعلمي، والجانب الفكري والأدبي، مما أكسبه الهمة العالية، والأخلاق السامية والصفات الحميدة والعادات الكريمة والملكات الفذة؛ فتأسس على حب العلم ولزوم مجلسه، وبذل النفس في سبيله، وإنفاق الوقت في تحصيله، وإيثاره على ما سواه من طلب الجاه والمال والسلطان، كما كان لهذه البيئة دور هائل في تعزيز دعوته إلى وحدة الأمة الإسلامية، ويتضح ذلك بما يلي:

---

[1] – العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الأستاذ/ عبد الرحمن بن خلدون، (١/٥٤)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ/ خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط١: ١٤٠١هـ، باختصار.



١- <u>توجيه الإمام الشافعي رحمه الله نحو العلم النافع:</u>

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: (خرجت من مكة، فلزمت هذيلًا في البادية، أتعلم كلامها وآخذ بلغتها، فلما أن رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار، وأذكر أيام الناس، فمر بي رجل من الزبيريين، فقال لي: يا أبا عبد الله، عز عليّ أن لا تكون في العلم والفقه هذه الفصاحة والبلاغة، قلت: من بقى ممن يقصد؟ فقال: مالك بن أنس، سيد المسلمين، قال: فوقع ذلك في قلبي، وعمدت إلى الموطأ فاستعرته من رجل بمكة وحفظته)[١]، وهنا ينصح رجل من الزبيريين الإمام الشافعي، بمراعاة الأولويات وشغل النفس بما هو أجدر، بأسلوب جميل بليغ، اتسم بلطف العبارة ولين الكلمة وخفض الجناح، ونصح المشفق الحاني، ويستطيع القارئ أن يستشعر دفء الصدق وحرارة الإخلاص في هذه الكلمة: "يا أبا عبد الله"، حيث إنه خاطبه بكنيته أولًا على صغر سنه؛ تلطفًا منه وحرصًا عليه، ثم بيّن له الدافع من النصيحة وهو الحرص والإشفاق وطلب الخير، ولم يتركه حائرًا، بل دلّه على طريق الخير وسبيل النفع، ألا وهو الفقه في الدين والعلم بأحكام الشرع الحكيم، ولم يكن دور البيئة في توجيهه قاصرًا على لطف العبارة ولين الجانب بل إنه تعدى إلى الشدة والحزم والضرب بالسياط[٢]، وفي غيرها من

---

١ - مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١/ ١٠٢)، باختصار.

٢ - عن مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: (كان الشافعي في ابتداء أمره يطلب الشعر وأيام الناس والأدب، ثم أخذ في الفقه بعد، قال: "وكان سبب أخذه في الفقه أنه كان يوما يسير على دابة له وخلفه كاتب لأبي، فتمثل الشافعي ببيت شعر، فقرعه كاتب أبي بسوط، ثم قال له: "مثلك تذهب مروءته في مثل هذا؟ أين أنت عن الفقه؟" قال: فهزه ذلك، فقصد مجالسة الزنجي بن خالد - وكان مفتي مكة، ثم قدم علينا فلزم مالك ابن أنس)، مناقب الشافعي، الإمام البيهقي، (١/ ٩٦).



الآثار[١] دلالة جلية على التوجيه البيئي والتأثير المجتمعي في سيرة ومسيرة الإمام الشافعي، من خلال توجيه طاقته رحمه الله نحو العلم النافع، وعدم الاشتغال بالمفضول عن الفاضل، رغم ما للشعر من قيمة في نفوس العامة وأهل الذوق، غير أنه قُرِعَ وأُنْكِر عليه وعُنِّف؛ لينفض كفه من إلقاء الشعر والالتفات إليه، ويجعل همته في تعلم الفقه وتحصيل الفهم وطلب العلم النافع، على لسان آحاد الناس، حيث إنه زجر الإمام الشافعي وعنفه خشية أن يضل طريقه أو يلتفت عنه إلى غيره، بقوله: "تفقه يعلمك الله"، وقد كان من الأمر ما قدر الله تعالى؛ لصدق الناصح وتواضع السامع، فقد تبارى لسان الإمام الشافعي رحمه الله بالاعتراف بهذا الفضل وتقدير قيمة تلك النصيحة، فقال: "فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي"، ثم إن الإمام مالك رحمه الله أيضًا وجه طاقة الإمام الشافعي نحو الفقه حين قرأ عليه الموطأ، فلما بلغ باب السِّير قال له: (اطوه يا ابن أخي، تفقه تعل)، وهذه جملة ذهبية تشحذ الهمم لطلب العلا ومراقي والرفعة، لما للفقه من أهمية للأمة، ففيه تنظيم العبادة وضبط المعاملة وربطهما بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وبيان الأحكام، من خلال استقراء الأدلة واستنباط المعاني المتضمنة لها، فهو علم نافع لصاحبه رافع لقدره، لذا؛ كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : (إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ، "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا")[٢]، لما للعلم النافع من أثر طيب في حفظ النفس وحراسة القلب وصيانة الجوارح.

---

١ – ينظر: حلية الأولياء، (٩/ ٧٠).

٢ – سنن الإمام ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ما يقال بعد التسليم (١/ ٢٩٨)، برقم: (٩٢٥)، تحقيق: الشيخ/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.



٢- <u>تعاهد المربيين للإمام الشافعي رحمه الله بالنصح والتوجيه:</u>

لم يكن توجيه البيئة للإمام الشافعي نحو طلب العلم النافع حدثًا فرديًا، بل تواترت عليه الآراء وتواصى به الناصحون، وازداد حرصهم وتعاهدهم إياه بالتوجيه والإرشاد، ومما يؤكد ذلك، أن الإمام الشافعي رحمه الله قال: (أتيت مسلم بن خالد الزنجي، فسلمت عليه فلم يرد علي السلام، وقال: أحدهم يجيئنا حتى ظننت أنه صلح أفسد نفسه، قال: فصرت إلى سفيان بن عيينة فسلمت عليه، فرد علي السلام وقال: بلغني يا أبا عبد الله ما كنت فيه وما بلغني إلا خيرٌ فلا تعد، قال: ثم خرجت إلى المدينة فقرأت الموطأ على مالك، ثم خرجت إلى العراق فصرت إلى محمد بن الحسن)[1]، وفي هذا النص دلالة واضحة على دور المربين والعلماء الربانيين في دعم الإمام الشافعي وتوجيهه، وتصحيح مساره، وإرشاده إلى طريق العلم والجادة، فهذا شيخه العلامة مسلم بن خالد رحمه الله، يعاتبه بعدم رد السلام عليه، ويؤنبه، ويخبره أنه ما خلق إلا لما فيه صلاح النفس وإصلاح الغير، حتى أنه اعتبر هذا الالتفات إفسادًا للنفس وإتلافًا لنعم الله عليه، ثم لما بلغ ذلك التابعي الجليل سفيان بن عيينة رحمه الله، تلطف معه وعاتبه عتاب المحب المشفق، وامتدحه بما فيه من خير، وأوصاه ألا يكررها.

وقد تحقق ما أوصى به هؤلاء الفضلاء؛ فازداد الإمام الشافعي رحمه الله نهمًا في طلب العلم النافع، فعن مصعب الزبيري قال: (قرأ الشافعي أشعار هذيل حفظًا، ثم قال لي: "لا تخبر بهذا أحدًا، وكان يسمر من أول الليل إلى الصباح يتذاكران"، وقال الإمام الشافعي: "حفظت القرآن وأنا ابن سبع، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر"، بل كان يوصي تلميذه المزني بقوله: "من لا يحب العلم فلا خير

---

[1] – مناقب الإمام الشافعي، الإمام الآبري، (ص: ٧٣)، تحقيق: د/ جمال عزون، طبعة: الدار الأثرية، ط١: ١٤٣٠هـ.



فيه، ولا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة"، وقال: "طلبت هذا الأمر على ضيق من ذات اليد"؛ فاستوعب الدرس، وفهم العبرة، وفقه مراد شيوخه الأجلاء، حتى خرجت الحكمة من فمه الكريم، فقال: "من لم تعزه التقوى فلا عز له، ولقد ولدت بغزة، وربيت بالحجاز، وما عندنا قوت ليلة، وما بتنا جياعًا، وقال له المزني: مالك بد من إمساك العصا ولست بضعيف؟!، فقال: "لأذكر أني مسافر في الدنيا"، وقال: "خير الدنيا والآخرة في خمس خصال: غنى النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، ولباس التقوى، والثقة بالله على كل حال")[1].

هذا، وقد تربى رحمه الله على احترام العلماء وتوقيرهم، والتواضع بين أيديهم، وتسخير العلم لخدمة الناس ورفعة الأمة وتعبد الخلق لله تعالى بحق، قال الإمام الشافعي: (ما طلب أحد العلم بالتعمق وعز النفس؛ فأفلح، ولكن من طلبه بضيق اليد وذلة النفس وخدمة العالم؛ أفلح)[2]، بهذا يتبين الدور الدعوي والتربوي للبيئة في توجيه الإمام الشافعي رحمه الله ونصحه وإرشاده إلى الطريق الأكمل والسبيل الأفضل، فتعلم العلم النافع الذي يجمع كلمة الأمة، ويوفق بين مدرستي الرأي والنظر بالعراق ومدرسة الحديث والأثر بالحجاز، فجزاهم الله جميعًا عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

[1] - ينظر: مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (المقدمة/ ص: ٢٢)، (١/ ١١١)، (٢/ ١٤٤)، (٢/ ٤٦)، وتوالي التأنيس بمعالي ابن إدريس للحافظ ابن حجر، (ص: ١١٠).

[2] - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/ ١١٩).



المطلب الثالث: دور التعليم في تعزيز منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي.

مما لا شك فيه أن التعلم له دور مهم في بناء القدرات الشخصية، وأثر بالغ في تهذيب الوجدان واكتساب الأخلاق وتزكية النفس وتقويم السلوك، وتشكيل العقل وصياغة الفكر، فهو مسلك الفقه في الدين، ونهج الحكمة والفطنة واليقين، وهو طريق الجنة، وسبيل الفضل والمنة، يورث الخوف من الله ويملأ القلب بخشيته، فضلًا عن ارتقاء المجمتع وازدهاره، وتوافر روح التعاون وغرس روح القبول بين أبنائه، به يدرك الإنسان الفضل الكبير، وينال الشرف العظيم، ويبلغ المنزلة الرفيعة، ويرقى إلى المكانة السامية، وكفى العلم شرفًا أن يكون نقيض الجهل، فهو: (الإدراك مطلقا تصوّرا كان أو تصديقا، يقينيا أو غير يقيني)[١]، وهو: (تصور حصول صورة الشيء في العقل)[٢]، ومن أحسن ما قيل في الكشف عن جوهره أنه: (صفة يكشف بها لمن قامت به ما من شأنه أن يذكر انكشافًا تامًا، لا اشتباه فيه)[٣]، كما أن العلم حصن حصين يمنع صاحبه الزلل وسفاهة العقل وسوء الخُلق وظلم الخَلق، وهو أداة التأثير التوجيه والفاعلية، يؤثر في تربية النشء، ويسهم في بناء منظومة القيم الظاهرة ومعانيها الباطنة؛ حيث إنه

---

١ – موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، الإمام التهانوي، (١٢١٩/٢)، تحقيق: د/ علي دحروج، ترجمة: د/ عبد الله الخالدي، الناشر: مكتبة لبنان– بيروت، ط١: ١٩٩٦م، وقيل يراد به اليقين، ينظر: لسان العرب (٤١٦/١٢)، والمعجم الوسيط، (٦٢٤/٢).

٢ – دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون القاضي/ عبد –رب– النبي الأحمد نكري، (٢٤٤/٢)، تعريب: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، ط١: ١٤٢١هـ.

٣ – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة وآخرون، (٤/١)، مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م.



يوفر القدوة العملية والأسوة الخلقية، وقد نبه القرآن الكريم وأكد على خطابه للعقل؛ لأنه مناط الفهم والتكليف، وأداة تحصيل العلم وتلقيه عن رسالات الوحي، فهو موجه الإنسان ودافعه ووسيلته إلى إدراك غايته من الحياة وتحديد هدفه، به يميز بين الوحي الصحيح الموثق وبين الخرافة والكهانة الكاذبة، ولا يستوي حامله وفاقده، قال تعالى(أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب)[١]، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في بيان شرف الدعوة وفضل الدعاة إلى الله تعالى: (نَضَّرَ الله امرأً، سمِعَ منَّا حديثاً فحفظه حتى يُبَلِّغَه، فُربَّ مُبَلَّغ أحفظُ له من سامع)[٢]، والمراد بالنضرة: (الحسن والرونق، والمعنى: خصّه الله تعالى بالبهجة والسرور لأنه سعى في نضارة العلم وتجديد السُّنَّة، فجازاه في دعائه له بما يناسب حاله في المعاملة)[٣]، وفي الحديث دلالة على تعظيم مكانة العلم في النفوس، والرغبة في تحصيله فهو المعين على العمل الصالح والعمل به عند الله تعالى، لذا؛ كان الصحابة رضوان الله عليهم يكرمون حملة العلم ويقدمونهم ويدنونهم منهم[٤]".

---

١ – سورة الرعد، الآية رقم: (١٩).

٢– المسند، الإمام أحمد بن حنبل، مسند الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، (٤/ ١٦٢)، برقم: (٤١٥٧)، طبعة: دار الحديث القاهرة، ط١: ١٤١٦هـ.

٣– إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الإمام أبو العباس القسطلاني، (١/ ٤)، طبعة: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧: ١٣٢٣هـ.

٤– عن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي أبي: ("يا بنيّ إني أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدّمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ...") عيون الأخبار، الإمام ابن قتيبة، (١/ ٧٣)، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت: ١٤١٨هـ، واللفظ له، وقد جاء هذا الأثر بأكثر من إسناد متصل ورجاله ثقات، غير مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني، وعليه مدار الحديث، وقد تكلم في ضعفه جماعة من أهل العلم، ينظر: الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات، الإمام زين الدين ابن الكيال، (ص:



وبتصفح سيرة الإمام الشافعي رحمه الله يتضح أنه ولد ونشأ في فترة اتقدت فيها القرائح ونشطت لتدوين العلوم، فقد كان عصر التابعين امتدادًا لعصر الصحابة رضوان الله عليهم، حيث ظهر (عدد كبير من المجتهدين الذين كانوا صلة الوصل بين الصحابة والمذاهب الفقهية، وكان العلماء والمجتهدون في العهد الأموي أساتذة لأئمة المذاهب التي ظهرت في العهد العباسي، وكان لهذه الصورة الفقهية الزاهية أثرها الكبير والمحمود على حسن سير القضاء والعدالة في العهد الأموي، وظهر التوسع بالاجتهاد، كما بدأت حركة تدوين العلوم الإسلامية، والانفتاح على الحضارات الأخرى، وترجمة الثقافات والعلوم من الأمم المجاورة)[١]، وقد جمع الله تعالى له من العلم الوافر، فشحذ (همته وجمعها فيما يجمع الله به الأمة الإسلامية، ويوحد به صف المسلمين، وقد أثرت نشأته وسعه اطلاعه وتتلمذه على يد أصحاب المذاهب الفقهية المتنوعة في تأسيسه لمذهبه الفقهي بشكل كبير، ومنحته القدرة على تنقيحه وتطويره، وألف هناك كتابه الذي أسس فيه لعلم الأصول وهو كتاب الرسالة)[٢]، وتوافر جهده في تسخير العلم لخدمة الأمة، ومن أهم مقومات الشخصية العلمية الفريدة للإمام الشافعي، ما يلي:

---

٥٠٥)، المحقق: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار المأمون ، بيروت، ط١: ١٩٨١م، وقال النسائي عنه: ثقة، ينظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة، (٦/ ٢٨٦).

١ – تاريخ القضاء في الإسلام، د/ أحمد البهي، (ص: ١٦٥)، مطبعة: لجنة البيان العربي، القاهرة: ١٩٦٥م، باختصار.

٢ – ينظر: الشافعي واضع علم أصول الفقه، أد/ مصطفى عبد الرازق، شيخ الأزهر الشريف، (٦٨– ١٧١)، تقديم: د/ محمد رجب البيومي، طبعة: مجلس حكماء المسلمين، ط١، عام: ١٤٤٠هـ، باختصار.



*- جمع اللغة وتحصيلها من أرباب الفصاحة[1]:

إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم؛ جعلها من أهم مقومات الشخصية، فهي وسيلة الفقه في الدين وفهم نصوصه وإدراك معانيه وترتبط بالدين ومصادره، لذا، حرص الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في بداية عمره على طلبها وتحصيلها من مظانها، لما لها من أثر بالغ في بناء الأمة وجمع كلمتها وحفظ هويتها وإقامة وحدتها، فهي تربط حاضرها بماضيها وتعقد واقعها بمستقبلها، لأنها لغة القرآن ولسان المصطفى العدنان صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: **(وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين)**[2]، والمراد من الآية أن: (هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيّنًا واضحًا ظاهرًا، قاطعًا للعذر، مقيمًا للحجة، دليلًا إلى المحجة)[3]، وفي هذا المعنى يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ...)[4]، قال الإمام البخاري رحمه الله: (وبلغني أن جوامع الكلم: أن الله يجمع الأمور الكثيرة، التي كانت تكتب في الكتب قبله، في الأمر الواحد، والأمرين، أو نحو ذلك)[5]، وقد جمعت هذه الألفاظ النبوية الشريفة (أشتات العلوم على الإطلاق، إذ كان صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلام، وعلم فصل الخطاب، فلم يسمع الناس كلامًا أعم نفعًا، ولا أقصر لفظًا، ولا أعدل وفرًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا،

---

[1] – ينظر: مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١/ ١٠٢).

[2] – سورة الشعراء، الآيات: (١٩٢ – ١٩٥).

[3] – تفسير القرآن العظيم، (١٦٢/٦).

[4] – صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، (٣٧١/١)، برقم: (٥٢٣).

[5] – صحيح الإمام البخاري، (٣٧/٩).



ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه صلى الله عليه وسلم)[1].

لذا؛ حرص الإمام الشافعي على الإلمام بمعاني اللغة العربية ومعرفة دلالاتها وفهم مبانيها وإدراك مراميها، فهي وعاء الدين، ومصدر معارفه ومنبت أفكاره ومنبع تراثه ومنشأ تاريخه، قال الإمام الشافعي: (أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها، وحفظت القرآن، فما علمت أنه مر بي حرف إلا وقد علمت المعنى فيه، والمراد ما خلا حرفين ...)[2]، هذا، وقد أفرد الإمام البيهقي بابًا بعنوان: "ما يستدل به على فصاحة الشافعي ومعرفته باللغة وديوان العرب"، ذكر فيه نقولًا عن كثير من أهل العلم ممن شهدوا للإمام الشافعي رحمه الله بالحجة والتفرد في علوم اللغة وفنونها وآدابها، أذكر منها: (ما جاء عن الزعفراني[3] أنه قال: "ما رأيت أحدا قط أفصح ولا أعلم من الشافعي، كان أعلم الناس، وأفصح الناس، وكان يقرأ عليه من كل الشعر فيعرفه"، وعن الربيع بن سليمان[4] قال: "كان الشافعي عربي النفس، عربي اللسان"، وقال: "لو رأيت الشافعي وحسن بيانه وفصاحته لتعجبت منه، ولو أنه ألف هذه الكتب على

---

[1] – تفسير القرآن العظيم، (٨/٥٤١)، الخاتمة– هامش الكتاب، باختصار.

[2] – قال الراوي: "حفظت أحدهما ونسيت الآخر، أحدهما: دساها "، تاريخ بغداد، الإمام الخطيب البغدادي، (٢/٤٠١)، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

[3] – الْحسن بن مُحَمَّد بن الصَّباح البغدادى الإِمَام أَبُو على الزعفرانى، أحد رُوَاة الْقَدِيم كَانَ إِمَامًا جَلِيلًا فَقِيها مُحدثا فصيحا بليغا ثِقَة ثبتا، توفى فى شهر رَمَضَان سنة سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ١١٤ – ١١٦).

[4] – الإمام المحدث الفقيه الكبير بقية الأعلام، أبو محمد المرادي، المصري، المؤذن، صاحب الشافعي، وناقل علمه، وشيخ المؤذنين بجامع الفسطاط، ومستملي مشايخ وقته، ومات عام: ٢٧٠هـ، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٢/ ٥٨٧)



عربيته التي كان يتكلم بها، لم يقدر على قراءة كتبه"، وعن أبي الوليد بن الجارود قال: "كان يقال: إن محمد بن إدريس الشافعي لغة وحده، يحتج به كما يحتج بالبطن من العرب")[1]، بل إنه رحمه الله بلغ به من العلم باللغة والأنساب ما فاق به الأقران، قال ابن هشام بعد مناظرة بينهما: ("ما ظننت أن الله خلق مثل هذا"، وكان يقول: قول الشافعي رضي الله عنه في اللغة حجة"، فقد أقام الشافعي على قراءة العربية وأيام الناس عشرين سنة، وقال: ما أردت بهذا إلا الاستعانة على الفقه، كما بلغ الإمام الشافعي من العلم باللغة درجة لا ينازع فيها، حتى قيل عنه: "ولو أنّه أَلَّفَ هذه الكتب على عَرَبِيّتِهِ التي كان ينطق بها لم يقدر على قراءة كتبه"، كان يقال: إنه لغة وحده، يحتج به كما يُحتج بالبَطْنِ من العرب")[2].

من خلال هذه النصوص السابقة يتبين للقارئ ضلاعة الإمام الشافعي وتمكنه في اللغة العربية، وإحاطته بمعانيها، فقد قضى عمرًا كاملًا في طلبها، وذلك لأن

---

[1] – ينظر: مناقب الشافعي للإمام للبيهقي، (٢/ ٤٩)، باختصار، وقد ذكر الإمام البيهقي جملة من أقوال أهل العلم في هذا المعنى، منها: (كان الإمام أحمد بن حنبل يقول: "الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة، واختلاف الناس، والمعاني، والفقه"، وقال أيضًا: كلام الشافعي في اللغة حجة"، وكان الأصمعي يقول: "صححت أشعار الهذليين على شاب من قريش بمكة يقال له: محمد بن إدريس الشافعي"، وعن الزبير بن بكار، قال: "أخذت شعر هذيل ووقائعها عن عمي مصعب فسألته عمن أخذها؟ فقال: أخذتها من محمد بن إدريس الشافعي حفظًا"، وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: "ولدت في ذي القعدة لأربع عشرة بقيت من سنة ست وثمانين ومائة، ولو أدركت الشافعي وأنا رجل لاستخرجت من بين جنبيه علوما جمة، ما كان أتمه في كل فن، لقد قرأت عليه من أشعار هذيل فما أذكر له قصيدة إلا أنشدنها من أولها إلى آخرها، على أنه مات وله أربع وخمسون سنة"، وعن محمد بن عبد الله بن إسحاق قال: سمعت المبرد يقول: رحم الله الشافعي كان من أشعر الناس، وآدب الناس، وأعرفهم بالقراءات)، ينظر: مناقب الشافعي للإمام للبيهقي، (٢/ ٤١ – ٤٨).

[2] – ينظر: مناقب الشافعي للإمام للبيهقي، (١/ ٤٨٨)، (٢/ ٤٢)، (٢/ ٢٨٦).



اللغة أداة التعبير والبيان، ووسيلة الفهم والإيضاح، وركيزة العلوم والثقافات، وقلادة الفنون ووعاء الحضارات، فركب بحور اللغة لغايات شريفة ومقاصد نبيلة وأهداف سامية، يستعين بها على الفقه في الدين، ومعرفة معانيه وجمع كلمة الأمة، قال رحمه الله: (ما جهل الناس ولا اختلفوا، إلا لتركهم لسان العرب)[1]، وقال رحمه الله: (ولسان العرب: أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجودًا فيها من يعرفه، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، وعلم أكثر اللسان في أكثر العرب أعم من علم أكثر السنن في العلماء)[2].

لذا؛ دعا الإمام الشافعي رحمه الله إلى تعلم اللغة فقال: (على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح، والتشهد، وغير ذلك)[3]، فجعل العلم أداة لتحقيق غايات ومقاصد الشرع الحنيف، فدعا إلى وحدة الأمة وجمع كلمتها ولم شملها وتوحيد صفها والالتفاف حول رايتها، وبهذا يتبين دور النشأة بأركانها الثلاثة في ترسيخ دعائم منهجية الإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة.

---

[1] – سير أعلام النبلاء ط الرسالة، (١٠/ ٧٤).

[2] – الرسالة للشافعي، (٤٢/١ وما بعدها)، تحقيق الشيخ: أحمد شاكر، طبعة: مكتبه الحلبي بمصر، ط١: ١٣٥٨هـ.

[3] – الرسالة للإمام الشافعي، (١/ ٤٧).



المبحث الثاني

الجهود المنهجية للإمام الشافعي

في الدعوة إلى وحدة الأمة:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجهود الفكرية[1] للإمام الشافعي في الدعوة إلى وحدة الأمة:

إن اختلاف العقول والأفكار فطرة راسخة في النفس، بها خلقت وعليها جبلت، لذا؛ بيّن القرآنُ الكريم سبلَ الهداية وطرق الرشاد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[2]، أي: (ولقد بينا للناس في هذا القرآن، كيلا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى)[3]، وقد فهم الإمام الشافعي رحمه الله فطرة النفس البشرية واستوعب خصائصها، ومن ثم (وضع أصول الفقه، علمًا ذا قواعد عامة يرجع إليها كل مستنبط لحكم شرعي، وقد لا يكون بعيدًا عن غرض الشافعي في وضع أصول الفقه، أن يقرب الشقة بين أهل الرأي وأهل الحديث ويمهد للوحدة التي دعا إليها الإسلام)[4]، كما بذل العديد من الجهود

---

١ – الفكر في اللغة هو: (التفكر والتأمل وإعمالُ النَّظر في الشيء)، القاموس المحيط، الإمام الفيروز أبادي، (ص: ٤٥٨)، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨: ١٤٢٦هـ، ولسان العرب، (٥/٦٥)، باختصار، وعرف الفكر اصطلاحًا بأنه: (تَرْتِيب أُمُور مَعْلُومَة للتأدي إِلَى مَجْهُول)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، الإمام السيوطي، (ص: ١١٧)، المحقق: أد/ محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب بالقاهرة، ط١: ١٤٢٤هـ، وعليه فالجهود الفكرية هي: إعمال العقل بالنظر والتأمل في الأدلة والمعلومات وإعادة ترتيبها، للوصول إلى الرؤى والتصورات السديدة.

٢– سورة الكهف، جزء من الآية رقم: (٥٤).

٣– تفسير القرآن العظيم، (٥/١٧١)، باختصار.

٤ – الشافعي واضع علم أصول الفقه، (ص: ١٧١).



الفكرية، للمساهمة في تعزيز وحدة الأمة وجمع كلمتها وتوحيد رايتها، وحفظ قوتها وتدعيم ريادتها، ولم شملها ورأب صدعها وضمان بقائها، ومنها:

١- <u>التأكيد على حجية القرآن والسنة معًا، وأنهما أصل الدين:</u>

إن القرآن الكريم هو الكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أراد الله تعالى لكتابه الكريم أن يكون (معجزة دالة على صدق الرسول في دعوى الرسالة والتبليغ عنه سبحانه، وبمقتضي هذا؛ أنزله يحمل في أسلوبه ومعانيه وتشريعه ومعارفه عناصر الإعجاز، وقد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدى به القوم فتحداهم حتى ظهر عجزهم، وتمت عليهم الحجة، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[١])[٢]، لذ؛ تنافس العلماء في تعريف القرآن الكريم وبيان مفهومه[٣]،

---

[١]- سورة البقرة، جزء من الآية رقم: (٢٣).

[٢] - الإسلام عقيدة وشريعة، الإمام الأكبر الشيخ/ محمود شلتوت، (٤٧٧/١)، طبعة دار الشروق، ط١٨: ١٤٢١هـ.

[٣]- من أهل العلم من عرّف القرآن الكريم بأنه: (ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلًا متواترًا)، المستصفى، الإمام الغزالي، (ص: ٨١)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١٣هـ، ومنهم من عرّفه بأنه (المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلًا متواترًا بلا شبهة، وهو النظم والمعنى جميعا في قول عامة العلماء)، كنز الوصول الى معرفة الأصول، الإمام البزدوي، (ص: ٥)، الناشر: مطبعة جاويد بريس كراتشي، ومثل هذه التعريفات للقرآن الكريم لا تعدو كونها، محاولات لتقريب معنى القرآن الكريم (للأذهان البشرية، ولتمييزه عن غيره من الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية، وذلك لأن القرآن الكريم غير متناه، وغير محدود، وكلام البشر متناه ومحدود بحدود العقل البشري، فكيف يعبر المتناه المحدود عن غير المتناه المحدود، فالتعريف الواصف الجامع لكل ما في القرآن من حقائق وأسرار وعلوم؛ لا تصل إليه طاقة إنسان مهما أوتي من الفصاحة والبيان أو الحكمة وفصل



فأعجزت بلاغته الفصحاء في وقت كان العرب فيه هم (أرباب الفصاحة، وأمراء البيان، فجاء القرآن على طريقة العرب في الأداء والتعبير، فلم يخلق معجمًا جديدًا، إنما هو آياتٌ مفصلة متناسقة، تروع الخيال بما فيها من تصوير بارع، وتسحر الوجدان، وتأخذ بالأفئدة والألباب بما تحمل من إيقاع جميل)[1]، وتتبع الحاجة إليه من كونه أساس الدين ومصدره الأصيل وركنه الركين وقاعدته الرئيسة، التي لا يستقيم للدين أمر دونها، حيث جعله الله تعالى هُدىً للعالمين: إنسًا وجنًا، عربًا وعجمًا، (وقد انعقد إجماع المسلمين على أن القرآن الكريم هو أساس الدين والشريعة، حتى صار ذلك عندهم مما علم من الدين بالضرورة، لا فرق في ذلك عندهم بين عصر وعصر، فهو حجة الله العامة على الناس أجمعين في كل زمان ومكان، في عقائده وأحكامه وأخلاقه)[2]، فضلًا عن أن القرآن الكريم هو: (الوحي الصادق الذي تلمس النجاة في آياته، ويرتقب الخير في اتباعه، ويشرف الناس بتلاوته وتدبره، والتنويه به، وجمع القلوب عليه)[3]، فاستسلم العرب بعد أن عجزت قرائحهم وحُبس بيانهم، عن أن يأتي بما يدانيه، حتى شهد شاهدهم: (إن له لحلاوة، وأن عليه لطلاوة، وأن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق، وأنه يعلو ولا يعلى عليه)[4].

الخطاب، لأن القرآن الكريم اشتمل على كل شيء في الوجود، علمه البشر أو لم يعلموه)، وتعتبر هذه التعريفات وصفا لبعض جوانب القرآن الكريم، بما فيه من جوانب الإعجاز، ينظر: أصول الدعوة والثقافة الإسلامية، أد/ سعيد محمد الصاوي، (ص: ٢٣،٢٤).

[1]- الصورة الأدبية في القرآن الكريم، د/ صلاح الدين عبد التواب، (المقدمة)، طبعة الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط١: ١٩٩٥م، بتصرف يسير واختصار.

[2]- الإسلام عقيدة وشريعة، (٤٧٨/١)، باختصار.

[3] – حصاد الغرور، للشيخ محمد الغزالي، (ص: ٩٥)، طبعة دار الشروق، ط١: ١٩٩٨م.

[4] – الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، الإمام البيهقي، (ص: ٢٦٨)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط١: ١٤٠١هـ.



كما أن السنة النبوية المطهرة لها أهمية كبرى في الدعوة إلى الله وحياة المسلمين، فهي تلي كتاب الله تعالى تفي المكانة والتشريع، وتمثل إلى جانب القرآن الكريم أساس الدين (وقاعدته الرئيسة، التي لا يستقيم للدين أمر ولا فهم ولا فقه دونها، فبدون السنة المطهرة؛ تضيع السيرة، وتفقد القدوة، وتنقطع الرسالة، وتُبهم معاني القرآن، ويقضي على فقه الدين)[١]، ولا يمكن الاستغناء عنها في معرفة الدين ومقاصد القرآن، مع ما اشتملت عليه من البلاغة والبيان، (ولعل مما ساعد على وصول البيان إلى غايته أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أحيط علمًا بكل ما يلمس أمر الدعوة من بعيد أو من قريب، فخاطب الناس كرغبتهم، ودعا البشر بأحسن أسلوب، يجذب قلوبهم ويستهوي عقولهم)[٢]، فصاغ أمة عظيمة تلقفت (عقائد الإسلام ومبادئه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، واستقرت أحكامه وآدابه الربانية في عقولهم وأفئدتهم صافية عن شوائب الابتداع وكدرات الوساوس والأوهام)[٣]، مما يبين مكانة السنة النبوية (من القرآن الكريم، وأنها المصدر الثاني الذي يأخذ منه المسلم كل أموره، في شتى مجالات الحياة الأولى والآخرة)[٤].

ومن يتتبع التاريخ الدعوي للإمام الشافعي رحمه الله تعالى يتبين له بجلاء تام أنه من أشد المؤكدين على تقديم القرآن الكريم والسنة النبوية على ما سواهما، والتأكيد على حجيتهما جنبًا إلى جنب، فقال رحمه الله: (إن الله جل ثناؤه وضع

---

[١]- شبهات حول الحديث النبوي: أد/ شهاب الدين محمد أبو زهو، (ص:٨)، طبعة عام: ٢٠٠٩/٢٠١٠م.

[٢]- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أد/ أحمد غلوش، (ص: ٤١٩)، باختصار.

[٣]- السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، د/ محمد سعيد البوطي، طبعة دار الفكر، دمشق، ط١: ١٤٠٨هـ.

[٤]- أصول الدعوة والثقافة الإسلامية، أد/ سعيد محمد الصاوي، (ص: ٥٨).



رسوله صلى الله عليه وسلم موضع الإبانة لما افترض على خلقه في كتابه ثم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وإن لم يكن ما افترض على لسانه نصًا في كتاب الله، فأبان في كتابه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله، ففرض على العباد طاعته، وأمرهم بأخذ ما أتاهم، والانتهاء عما نهاهم عنه، وكان فرضه على كل من عاين رسوله صلى الله عليه وسلم ومن بعده إلى يوم القيامة واحدًا في أن على كل طاعته، ولم يكن أحد غاب عن رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالخبر عنه)[١].

كما ساوى الإمام الشافعي رحمه الله بين القرآن الكريم والحديث النبوي في الحجية، وقرر أنهما بيان واضح جلي، لا يمكن الاستغناء عنهما، بل يستغنى بهما عما سواهما، لأن الكل راجعٌ إليهما، فقال في كتابه الأم: (ما كان الكتاب والسنة موجودين؛ فالعذر عمن سمعهما مقطوع إلا باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو واحدٍ منهم، ثم كان قول الأئمة أبي بكر أو عمر أو عثمان إذا صرنا فيه إلى التقليد أحب إلينا، وذلك إذا لم نجد دلالة في الاختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة، فيتبع القول الذي معه الدلالة؛ لأن قول الإمام مشهور بأنه يلزمه الناس، ومن لزم قوله الناس؛ كان أشهر ممن يفتي الرجل أو النفر، وقد يأخذ بفتياه أو يدعها، وأكثر المفتين يفتون للخاصة في بيوتهم ومجالسهم، ولا تعنى العامة بما قالوا عنايتهم بما قال الإمام)[٢]، ويتضح ذلك أيضًا من خلال ما نص عليه في

---

١ – اختلاف الحديث، الإمام الشافعي، (مطبوع ملحقا بكتاب الأم للإمام الشافعي)، (٨/ ٥٨٧)، الناشر: دار المعرفة، بيروت: ١٤١٠هـ.

٢ – الأم، الإمام الشافعي، (٨/٧٦٣)، تحقيق الشيخ: رفعت فوزي، الناشر: دار الوفاء المنصورة، ط١: ١٤٢٢هـ.



كتاب الرسالة بقوله: (وضع الله رسوله صلى الله عليه وسلم من دينه وفرْضِه وكتابه، الموضعَ الذي أبان أنه جعله عَلَمًا لدينه، بما افترض من طاعته، وحرَّم من معصيته، وأبان من فضيلته، بما قَرَن من الإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم مع الإيمان به؛ فجعل كمال ابتداء الإيمان، الذي ما سواه تَبَعٌ له؛ وأن الله افترض طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وحتَّم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقول: فرضٌ، إلا لكتاب الله، ثم سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لِمَا وصفنا، من أنَّ الله جَعَلَ الإيمان برسوله مقرونًا بالإيمان به، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مُبَيِّنَة عن الله معنى ما أراد، دليلاً على خاصِّه وعامِّه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه، فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله صلى الله عليه وسلم)[1]، وقال أيضًا: (كل ما سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه كتاب، وفيما كتبنا في كتابنا هذا، من ذِكرِ ما مَنَّ الله به على العباد من تَعَلُّم الكتاب والحكمة؛ دليلٌ على أن الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع ما ذكرنا مما افترض الله على خلقه من طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبيَّن من موضعه الذي وضعه الله به من دينه)[2]، وقال أيضًا: (والبيان اسم جامع لمعاني مجتمعةِ الأصول، متشعبةِ الفروع، فأقلُّ ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة: أنها بيانٌ لمن خوطب بها ممن نزل القُرَآن بلسانه، متقاربة، الاستواء عنده، فجِمَاع ما أبان الله لخلقه في كتابه، مما تَعَبَّدَهم به، لما مضى من حكمه جل ثناؤه: من وجوه: فمنها ما أبانه لخلقه نصًا، ومنه: ما أَحكم فرضه بكتابه، وبيَّن كيف هو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ومنه: ما سَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس لله فيه نصُّ حكم، وقد فرض الله

---

[1] – الرسالة للإمام الشافعي، (١/٧٣)، باختصار.

[2] – الرسالة للإمام للشافعي (١/ ٣٢)، بتصرف يسير.



في كتابه طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، والانتهاء إلى حكمه، فمَن قبل عن رسول الله فبِفَرْضِ الله قَبِل، ومنه: ما فرض الله على خلقه الاجتهادَ في طلبه، وابتلى طاعتهم في الاجتهاد، كما ابتلى طاعتهم في غيره مما فرض عليهم)[1].

وقد عمد الإمام الشافعي إلى بيان هذا المعنى؛ لأن القرآن الكريم هو (أول شيء يفتح الله به القلوب ويخاطب العقول؛ فهو مدد عجيب ومعين لا ينضب، يستمد منه كل شيء في الوجود، يناسب كل المستويات البشرية العقلية والثقافية، فيتأثر به العامي والمثقف على حد سواء)[2]، كما أنه لا غنى عنه لمعرفة دين الله ومقاصده، وقد خصه الله تعالى بأن تكفل بحفظه، قال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾)[3]، فقد حوى القرآن الكريم كل شيء من أمور الدين والدنيا، وكل حكم من أحكامه، وبيَّنه وفصَّله قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا﴾ ئر ئز ئم ئن ئى ئي ئر[4]، والمعنى: (أنه بيّن كل شيء من أمور الدين – والدنيا–، حيث كان نصا على بعضها، وإحالة على السنة، حين أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته، وحثًا على الإجماع في قوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5]، وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته اتباع أصحابه، والاقتداء بآثارهم في قوله صلى الله عليه وسلم : "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ

---

[1] – الرسالة للإمام للشافعي (١/ ٢١)، باختصار.

[2]– أصول الدعوة والثقافة الإسلامية، أد/ سعيد الصاوي، (ص٣٨–٤٢)، باختصار وتصرف يسير.

[3]– سورة الحجر، الآية رقم: (٩).

[4]– سورة النحل، جزء من الآية رقم: (٨٩).

[5]– سورة النساء، جزء من الآية رقم: (١١٥).



الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"[1]، وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق القياس والاجتهاد، فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد، مستندة إلى تبيان الكتاب، فمن ثمّ كان تبيانًا لكل شيء)[2]، وعليه فإن جميع ما أنزله الله تعالى في القرآن الكريم (رحمة وحجة، فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها")[3]، ثم انتصر الإمام الشافعي للحديث النبوي، باعتباره حجة بذاته، لا يسع أحدٌ مخالفته أو الإعراض عنه)[4].

ومن خلال ما سبق يتبين أن الإمام الشافعي رحمه الله قام بنهضة علمية شاملة، حيث إنه انتقل بالسنة المطهرة من مرحلة العلم بالهَدْي النبوي، إلى حجية الحديث النبوي باعتباره أصلًا من أصول الدين ومصدرًا من مصادر التشريع جنبًا

---

[1]- صحيح الإمام البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (١٧١/٣)، برقم: (٢٦٥٢)، وصحيح الإمام مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (٤/ ١٩٦٣)، برقم: (٢٥٣٣).

[2]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري ، (٥٨٦/٢)، بتصرف.

[3] – الرسالة للإمام للشافعي (١/ ١٩ – ٢٠)، باختصار

[4] – نص الإمام الشافعي على أنه لا يترك لرسول الله حديثًا أبدًا، إلا إن وجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث يخالفه، والاختلاف عنده وجهان: أحدهما أن يكون بها ناسخ فيعمل به، ومنسوخ يترك؛ والآخر أن تختلف، ولا دلالة على أيها الناسخ؛ فنأخذ بأثبت الروايتين، فإن تكافأتا؛ فأشبه الحديثين بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فيما سوى ما اختلف فيه الحديثان من سنته صلى الله عليه وسلم ، ولا يعدو حديثان اختلفا عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يوجد فيهما هذا أو غيره مما يدل على الأثبت من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم مستغن بنفسه، فإذا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لم يكن في أحد بعده حجة لو جاء عنه شيء يخالفه، واستغني به عمن سواه، ولا يجوز لعالم في دينه أن يحتج بما يرى الحجة في غيره، ينظر: الأم، (٨/ ٥١٣)، باختصار.



إلى جنب مع القرآن الكريم، بل أقام الحجة على أنه شارح مبيّن ومفصل لما في القرآن الكريم، بل مستقل بالتشريع، ومن ثم؛ فحاجة القرآن إلى الحديث النبوي أكبر من حاجته إلى القرآن، لذا؛ أكد على وجوب متابعة الحديث النبوي الشريف، بل عدّه علامة الإيمان[1]، وأكد على ضرورة الالتزام بقول النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب موافقته، وعدم الخروج عنه قيد أنملة، فقال: (ولم يجز أن يجمع الناس على خلاف قول النبي صلى الله عليه وسلم)[2]، فأثّر بقوة في ضبط مسار الاجتهاد وإعمال العقل والتعامل مع النصوص الشرعية، وكان رحمه الله يقول: (بذل كلامنا صون كلام غيرنا"، ..."يَعْنِي بَذْلَهُ كَلامَهُ، فِي الْحَلالِ وَالْحَرَامِ، وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ، صَوْنٌ لِكَلامِ أَشْكَالِهِ، إِذْ كَفَاهُمْ هَذِهِ الْمُؤْنَةَ")[3]، قال الإمام أحمد رحمه الله: (كانت أقفيتنا أصحاب الحديث، في أيدي أصحاب أبي حنيفة ما تنزع، حتى رأينا الشافعي رضي الله عنه، وكان أفقه الناس في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما كان يكفيه قليل الطلب في الحديث)[4]، وقال: (لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث)[5]، وقال الإمام محمد بن الحسن الشيباني: (إن تكلم أصحاب الحديث يومًا فبلسان الشافعي، وقال أحمد بن حنبل: ما أحدٍ من أهل الحديث مس محبرةً ولا قلمًا إلا

---

[1] – قال يونس بن عبد الأعلى للإمام الشافعي: (قال صاحبنا الليث بن سعد: "لو رأيت صاحب هوىً يمشي على الماء؛ ما قبلته"، فقال الشافعي: "أما إنه قصر، لو رأيته يمشي في الهواء؛ ما قبلت") مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٥٣).

[2] – الأم للإمام للشافعي، تحقيق: الشيخ/ رفعت فوزي، (٨/ ٧١٥).

[3] – آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٧٢).

[4] – آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٤٢).

[5] – مسألة الاحتجاج بالشافعي، الإمام الخطيب البغدادي، (ص: ٥٧)، تحقيق: خليل إبراهيم ملا خاطر، الناشر: المكتبة الأثرية، باكستان.



وللشافعي في رقبته منة، وقال الزعفراني: كان أصحاب الحديث رقودًا حتى أيقظهم الشافعي)[1]، ومن ثم استطاع الإمام الشافعي رحمه الله بفضل الله تعالى تحجيم الفرقة والاختلاف، وتفعيل وحدة الأمة وجمع شملها حول القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وما يستقى منهما من إجماع العلماء، أو قياس على ما فيهما.

٢- اعتناق العقيدة الصافية واجتناب التكلف في علم الكلام[2]:

كان الإمام الشافعي رحمه الله على علم وثيق بقضايا العقيدة، فقد تربى على عقيدة الصحابة رضوان الله عليهمالصافية، ودعا الناس إليها، (واتفق أهل العلم أن أحدًا لم يجمع جمل الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم، كما جمعه الشافعي رضي الله عنه في قوله الموجز: "آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ")[3]، بل إنه ربط بين علم أصول الفقه وعلم الكلام، وأثبت أن أصول الإسلام ومصادر التشريع تجمع بين العقل والنقل معًا كما سيأتي، غير أن الإمام الشافعي رحمه الله لم يلج بحر العقيدة على طريقة المتنطعين، ولم ينتهج (الرأي المذموم والقياس المتكلف المنهى عنه، وهو ما لم يكن على هذه الأصول؛ لأن ذلك ظن ونزغ من الشيطان)[4]، عملًا بقوله صلى الله عليه وسلم : (أنا زعِيم بِبيتِ في رَبَضِ الجنةِ، لمن تركَ

١ – توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس، (ص: ٢١ وما بعدها).

٢ – علم الكلام هو: (علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام، والقيد الأخير لإخراج العلم الإلهي للفلاسفة)، ينظر: التعريفات، (ص: ١٨٥).

٣ – منازل الأئمة الأربعة، الإمام أبو زكريا الأزدي السلماسي، (ص: ١٤٦)، المحقق: محمود بن عبد الرحمن قدح، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١: ١٤٢٢هـ.

٤ – شرح صحيح البخاري للإمام ابن بطال، (١٠/ ٣٥١).



المِراء وإن كان مُحِقًّاً)[1]، يقول الإمام الشافعي رحمه الله في شأن المتكلفين المتشدقين المتنطعين أرباب الجدل العقيم في علم الكلام: (لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء والله ما توهمته قط، ولأن يبتلى المرء بجميع ما نهى الله عنه خلا الشرك بالله، خير من أن يبتليه الله بالكلام"، وقال أيضًا: "رأيي ومذهبي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويجلسوا على الجمال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأخذ في الكلام"، وقال: "ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح"، فقد كان شديد التحذير من الخوض في هذا العلم، لما يترتب عليه من التشرذم والتنافر والتناحر والتراشق، ومما يؤكد ذلك، ما جاء عن الإمام المزني رحمه الله قال: "سألت الشافعي عن مسألة من الكلام فقال سلني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت أخطأت ولا تسألني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت كفرت"، وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: "كان الشافعي بعد أن ناظر حفصًا الفرد[2] يكره الكلام، وكان يقول: والله لأن يفتي العالم فيقال: أخطأ العالم، خير له من أن يتكلم فيقال: زنديق، وما شيء أبغض إلي من الكلام وأهله"، وقد عقّب الإمام الذهبي على هذه الواقعة بقوله: "هذا دال على أن مذهب أبي عبد الله أن الخطأ في الأصول، ليس كالخطأ في الاجتهاد

---

[1] – سنن الإمام أبي داود، أول كتاب الأدب، باب في حسن الخُلق، (٧/ ١٧٨)، برقم: (٤٨٠٠)، تحثيق: الشيخ/ شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، طبعة: دار الرسالة العالمية، ط١: ١٤٣٠هـ.

[2] – حفص الفرد: من أهل مصر ويكنى أبا عمرو، قدم البصرة، كان معتزليا ثم قال بخلق الأفعال، ثم قال بخلق القرآن، وله من الكتب كتاب الاستطاعة كتاب التوحيد كتاب في المخلوق، ينظر: الفهرست، ابن النديم، (ص: ٢٢٣)، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، ط٢: ١٤١٧هـ.



في الفروع")[1]، بل كان يوجه إلى العلم النافع، وما يترتب عليه من العمل الصالح واجتناب الخوض فيما لا طائل منه)[2]، إلا للضرورة.

وبالرغم من حرص الإمام الشافعي رحمه الله على إبطال شبه أهل البدع، إلا أنه (لم يكن يفعل ذلك بمجرد تهجين البدع والتشنيع على المبتدعة، وإنما كان يفعل ذلك، ببيان ضعف حججهم وقصور طريقتهم وفساد منهجهم، فكان يحاور حفصًا الفرد في مسائل نعدها الآن من أدق مسائل الكلام، كالجدل حول القرآن أمخلوق هو أم غير مخلوق، كما كان يجادل حول زيادة الإيمان ونقصانه، ويرد على شبه القدرية والمرجئة، وكل ذلك مذكور في كتب المناقب التي أفردت للشافعي، وعدم ذكر ذلك في كتاب "الرسالة" لا يعني أبدًا أن الشافعي لم يتكلم في مسائل الكلام، بل كان اهتمامه الأول منصبًا على وضع أصول النظر

---

[1] – ينظر: مناقب الشافعي، (١/ ٤٥٣-٤٥٤)، وحلية الأولياء، (٩/ ١١١-١١٦)، وسير أعلام النبلاء، (١٠/ ١٩).

[2] – قال الإمام المزنيّ رحمه الله: (لما وافى الشافعي مصر، ... جثوث بين يديه قلت: "إنه هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أنّ أحدًا لا يعلم علمك، فما الذي عندك؟"، فغضب ثم قال: "أتدري أين أنت؟"، قلت نعم، قال: "هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون أبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسؤال عن ذلك؟"، فقلت: لا، فقال: "هل تكلّم فيه الصحابة؟، قلت: لا، قال: "تدري كم نجوم السماء؟"، قلت: لا، قال: "فكم كوكب منها تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، ممّ خلق؟"، قلت: لا، قال: "فشيء تراه بعينك من الخلق، لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه"، ثم سألني عن مسألة في الوضوء، فأخطأت فيها ففرّعها على أربعة أوجه، فلم أجب في شيء منها، فقال: "شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات، تدع علمه، وتتكلّف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى الله تعالى، وإلى قوله: {وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ} ...الآية، والآية بعدها، فاستدلّ بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلّف علم ما لم يبلغه عقلك"، قال: فتبت)، ينظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة، (١٠/ ٣٢)، ومناقب الإمام الشافعي لابن قاضي شهبة (ص: ٣٥).



والاستدلال وتمهيد القواعد والضوابط لفهم الدليل الشرعي، وهو ما أصبح يعرف بعلم أصول الفقه، ولئن لم يكن هذا العلم بديلاً عن علم الكلام إلا أنه يرتبط به ارتباطًا وثيقًا، وهناك أمر آخر لا بد من استصحابه في مقام الفهم لكلام الشافعي عن المتكلمين، وهو العصر الذي عاش فيه وما شهده من انتشار لأفكار المعتزلة والدفاع عنها من قبل أصحابها، وتأليب الحكام والسلطة على أهل الحديث، فمثل هذا العصر المشحون بالجدل والخلاف، يفرض على الشافعي أن يتكلم، ليس حبًا في الجدل والكلام، ولكن دفاعًا عن أهل الحديث ورغبة في رد الخصم إلى الصواب، وفي سيرة الشافعي وتراثه ما يعضد هذا الرأي ويؤكده، بل لن يكون من المبالغة أو مجانبة الحقيقة في شيء القول بأن الشافعي أتقن علم الكلام قبل علم الفقه، ولكنه لم يتأثر بالمناهج الفاسدة في الاستدلال، ولم تستهوه شبهات الفلاسفة أو مغالطات أهل الأهواء والنحل)[١]، ومما يؤكد ذلك قول الإمام أحمد رحمه الله: (قدم علينا نعيم بن حماد، فحضّنا على طلب المسند، فلما قدم الشافعي رضي الله عنه، وضعنا على المحجة البيضاء)[٢]، وقال الحميدي[٣]: (كنّا نريد أن نردّ على أصحاب الرأي فلم نحسن كيف نرد عليهم؟ حتى جاء الشافعي، ففتح لنا، وقال: "كنّا ننكر على أصحاب الرأي ولا نحسن نردّ عليهم، حتى أغاثنا الله تعالى بالشافعي"، وقال الربيع: كان الحميدي في سن الشافعي، قدم على الشافعي،

---

١ – موقف الإمام الشافعي من علم الكلام ومناهج المتكلمين، د/ إبراهيم أحمد الديبو، (ص: ٥٩)، موسوعة التجديد ـ المجلد: ١٥، العدد: ٢٩، عام: ١٤٣٢هـ–٢٠١١م.

٢ – مناقب الشافعي للبيهقي، (١/ ٢٢٤).

٣ – عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي، صاحب المسند، حدث عن: الفضيل ووكيع والشافعي، وكأثر عن ابن عيينة، وليس بالمكثر، ولكن له جلالة في الإسلام، وحدث عنه: البخاري، والذهلي وأحمد، ومات عام: ٢١٩هـ، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٠/ ٦١٦).



وكان يقول: "أبو عبد الله الشافعي إمامنا ومعلمنا")[1]، وهذا الجدل الذي التزمه الإمام الشافعي في دعوته هو النوع المحمود من المجادلة ويطلق عليه أسلوب الحوار[2] المنطقي والنقاش العقلي المحمود، لما يترتب عليه من بيان الحق وإماتة الباطل وكشف حقيقته للناس، وتآلف القلوب وتراحم الأمة.

ولم يكن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بدعًا من العلماء السابقين في التحذير من المتنطعين في علم الكلام وتجاوزاتهم، فقد حذّر غيرُه من أهل العلم أيضًا، بل (اتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات)[3]، وهذا محمول على موقف الإمام الشافعي من المتكلفين، فقد نقل الإمام البيهقي ذم الإمام الشافعي التنطع في علم الكلام، ثم عقّب بقوله: (إنما أراد الشافعي رحمه الله، بهذا الكلام حفصًا -الفرد- وأمثاله من أهل البدع، وهذا

---

[1] - مناقب الإمام الشافعي لابن قاضي شهبة (ص: ٦٨).

[2]- الحوار في اللغة من: (حار يحور، وهو الرجوع، وتحاوروا، أي: تراجعوا الكلام بينهم وتجادلوا، والحوار هو: حديث يجري بين شخصين أو أكثر)، ينظر لسان العرب، (٤/٢٢٠)، فصل الحاء المهملة، المعجم الوسيط، (١/٢٠٥)، وعُرّف اصطلاحا بأنه: (تفاعل لفظي بين اثنين أو أكثر من البشر، بهدف التواصل الإنساني وتبادل الأفكار والخبرات وتكاملها)، الصحوة الإسلامية، د/ محمد المهدي، (ص: ٢٠)، طبعة دار الوفاء، ط١: ١٤١٢هـ.

[3] - شرح السنة، الإمام البغوي، (١/٢١٦)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط٢: ١٤٠٣هـ، ويقول حجة الإسلام الإمام الغزالي: (اعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه وأما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع)، إحياء علوم الدين، حجة الإسلام الإمام الغزالي، (١/٢٢) دار المعرفة - بيروت.



مراده بكل ما حكى عنه في ذم الكلام وذم أهله)[1]، ثم إن الإمام الشافعي رحمه الله استخدم الأدلة العقلية والبراهين الجلية في تقرير العقيدة الصافية، وأما نهي السلف رضوان الله عليهم عن الكلام في هذا العلم يقصد به أهل البدع والأهواء، (المخالفين للكتاب والسنة، وهذا ما يشهد له اشتغالهم هم أنفسهم بلون من الكلام يتفق في رأيهم مع القرآن الكريم ويعتمد على السنة الصحيحة ومدارك العقول السليمة، فألَّف أبو حنيفة فيما يروى عنه الفقه الأكبر والفقه الأبسط والوصية والعالم والمتعلم وناظر الشافعي حفصًا الفرد وغيره ورد على المرجئة، وألف أحمد الرد على الجهمية وكلها مؤلفات في الكلام)[2]، وتوجيه ذم الإمام الشافعي لعلم

---

[1] – مناقب الشافعي للبيهقي (١/٤٥٤ – ٤٥٥)، باختصار، وأما ما أُثر عن الإمام الشافعي رحمه الله (من ذم لعلم الكلام وتحذير للناس منه، لا ينبغي أن يفهم على أنه هدم لأسس هذا العلم أو إهدار لأهميته ووظيفته، وإنما هو دعوة إلى تصحيح أساليبه وتصويب وجهته، وفق منهجية أصيلة تعتمد على المصادر الشرعية والأساليب القرآنية في الحجاج، ومستهدية بقواعد البيان في اللغة العربية، وأن الشافعي رحمه الله لم يخض في قضايا العقيدة على طريقة – بعض– المتكلمين من أهل عصره على الرغم من معرفته بعلم الكلام وتمكنه من أدواته، وإنما كان حريصًا على بناء منهجية متميزة عرضها في كتبه وخصوصًا في الرسالة، كما أوضح أن نقده لعلم الكلام وهجومه على –بعض– المتكلمين كان موجهًا للأساليب الفاسدة والطرق البعيدة التي يسلكها المتكلم في حجاجه، مستهدفًا النحل المنحرفة من أهل الأهواء، التي أبعدت علم الكلام عن أداء وظيفته على نحو يقبله أهل العقول السليمة والفطر النقية، فتحول إلى فن للجدل والمغالبة والحجاج المنازعة، وأن علم أصول الفقه كما أسس له الشافعي لم يكن بالنسبة له بديلاً عن علم الكلام، ولكنه كان مرتبطًا به ارتباطًا وثيقًا، وأن استدلالاته على قضايا أصول الدين تجمع بين العقل والنقل وفق نهج يقوم على فهم دقيق للأدلة الشرعية واستكناه لمعانيها ودلالاتها العقلية العميقة، بعيدًا عن أي نزعة ظاهرية جامدة)، موقف الإمام الشافعي من علم الكلام ومناهج المتكلمين، د/ إبراهيم أحمد الديبو، (المقدمة)، (ص: ٥١)، باختصار.

[2] – المدخل إلى علم الكلام، أد/ حسن الشافعي، (ص: ٤)، طبعة: مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢: ١٩٩١م.



الكلام وللمتكلمين؛ أنه محمول على أهل البدع والأهواء، المخالفين للكتاب والسنة النبوية.

٣- الحرص على التجرد للعلم وإعلاء حقه على حظ النفس:

نُقل عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى العديد من الأقوال الخالدة التي لم تخرج إلا منه، منها: ثلاث كلمات (لم يسبق إليها وانفرد بها، قال أبو حاتم بن حبان: "الشافعي له ثلاث كلمات ما تكلم بها أحد في الإسلام قبله، ولا تفوه بها أحد بعده، الأولى: إذا صح لكم الحديث، فخذوا به، ودعوا قولي، والثانية: ما ناظرت أحدًا قط فأحببت أن يخطئ، والثالثة: "وددت أن الناس لو تعلموا هذه الكتب، ولم ينسبوها إلي")[١]، كما كان يوصي طلابه وتلاميذه ويعهد إليهم بالتجرد للعلم وتحرر الفكر من التبعية والتقليد الأعمى، قال رحمه الله: (كل ما قلت لكم، فلم تشهد عليه عقولكم وتقبله، وتره حقا فلا تقبلوه، فإن العقل مضطر إلى قبول الحق)[٢]، وقال رحمه الله: (أَعْرِفُ الحقَ لذي الحقِ إذا أحقَ اللهُ الحق)[٣]، وشهد له ابن عبد الحكم فقال: (ما رأيت مثل الشافعي، كان أصحاب الحديث ونقّاده، يجيئون إليه، فيعرضون عليه غوامض علم الحديث، فربما أعلّ نقد النقّاد منهم، فيوقفهم على غوامض من علل الحديث لم يقفوا عليها، فيقومون وهم متعجبون منه، ويأتيه أصحاب الفقه، المخالفون والموافقون، فلا يقومون إلا وهم مذعنون له بالحذق والدراية، ويجيء أصحاب الأدب، فيقرأون عليه الشعر فيفسره لهم،

---

١ - آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٢٤٧ - ٢٤٨)، وهذا النص من صحيح ابن حبان ألحق بالكتاب، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الإمام أبو حاتم الدارمي، ترتيب: الأمير علاء الدين الفارسي، (٥/٤٩٧- ٤٩٨)، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١: ١٤٠٨هـ، باختصار.

٢ - آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٦٨)، ومناقب الشافعي للإمام البيهقي، (٢/ ١٨٦).

٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/ ١١٩)



ولقد كان يحفظ عشرة آلاف بيت شعر من أشعار هذيل، بإعرابها وغريبها، ومعانيها، وكان من أضبط الناس للتاريخ، وكان يعينه على ذلك شيئان، وفور عقل وصحة دين، وكان ملاك أمره، إخلاص العمل لله عز وجل)[1].

ومن يتأمل هذه النصوص السابقة يتبين له بما لا يدع مجالًا للشك إخلاص النية عند الإمام الشافعي، وتجرده في طلب العلم النافع ونشره ابتغاء مرضات الله تعالى، وورعه في تعليمه الناس، فهو يتقي فيه ربه طلبًا وبلاغًا، عملًا بقوله تعالى: (**واتقوا الله ويعلمكم الله**)[2]، والمعنى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ في مخالفة أمره ونهيه، وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ أحكامه المتضمنة لمصالحكم)[3]، والمراد من الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى (يعلمكم ما يكون إرشادًا واحتياطًا في أمر الدنيا، كما يعلمكم ما يكون إرشادًا في أمر الدين والله بكل شيء عليم إشارة إلى كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع مصالح الدنيا والآخرة)[4]، وفي الآية دلالة على أن تقوى الله تعالى سبيل العلم وطريق الزيادة منه والرسوخ فيه كرمًا منه سبحانه وتفضلًا على عباده المخلصين، وهذا التجرد راجع إلى ما اتسم به الإمام الشافعي رحمه الله من الورع وصحة النية وجميل القصد، فقد بوّب الإمام البيهقي رحمه الله بابًا بعنوان: (ما جاء في صحة نية الشافعي، وجميل قصده في وضع الكتب ومناظرة من خالفه)[5]، ثم نقل جملة من أقواله رحمه الله، ومنها: ("ما ناظرت أحدًا على

---

١ – مناقب الإمام الشافعي لابن قاضي شهبة (ص: ٧٦).

٢ – سورة البقرة، جزء من الآية رقم: (٢٨٢).

٣ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الإمام البيضاوي، (١/ ١٦٥)، المحقق: محمد المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١: ١٤١٨هـ.

٤ – مفاتيح الغيب، الإمام الفخر الرازي، (٧/ ٩٩)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣: ١٤٢٠هـ.

٥ – مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١/ ١٧٤).



الغلبة إلا على الحق عندي"، ومنها قوله: "ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة"، ومنها: "ما كلمت أحدًا قط إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه)[1]، بل إنه رحمه الله كان حريصًا على تحصين قلبه من الآفات، بالإخلاص لله تعالى في طلب العلم النافع، والاستمرار في طلبه من المهد إلى اللحد، والتجرد له سبحانه، ودفع حظ النفس البشرية، ليكون خالصًا سائغًا[2]، وقد كان للإمام الشافعي رحمه الله أوفر حظ من الورع والتجرد وأوفى نصيب من الإخلاص والتقى؛ فزاده الله علمًا نافعًا، ومنحه الله فهمًا راسخًا، حتى شهد بذلك أهل العلم[3]، ولا شك أن التجرد في طلب العلم فضيلة كريمة، ترفع شأن صاحبها، وتنفع بعلمه ودعوته؛ فتفتح له القلوب، وتهيئ له الأذهان، وتشنف الأسماع، وتسترق الأبصار، وتستولي على الألباب دون سطو أو اختلال.

---

[1] – ينظر: مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١/ ١٧٣) وما بعدها.

[2] – قال الإمام المزني رحمه الله: (دخلت يوما على الشافعي، وكان يصنف كتابا، فقلت له: "رحمك الله، إن أصحاب مالك وأصحاب أبي حنيفة صنفوا الكتب الكثيرة، ويجتهدون في العلم أكثر من اجتهادك، فقال لي: "يا إبراهيم، أليس ترى ما نحن فيه – وكان يتأذى بالبواسير – ثم قال: نصنف ويصنفون، وما كان لله تعالى يبقى إلى الدهر")، آداب الشافعي ومناقبه، (١/ ١٧٧).

[3] – قال ابن الفرات رحمه الله تعالى: "هذا الشافعي وافى العراق متعلقا ببركات وما له عند السلطان محل، وصنف الكتب، وأرى ذكره كل يوم أعلى، والإجماع على قوله أكثر؟!، فأطرق أبو موسى الضرير ساعة ثم قال: "إن الشافعي أراد الله تعالى بعلمه فرفعه الله")، مناقب الشافعي للبيهقي، (١/١٧٦)، باختصار وتصرف يسير، قال الإمام الشافعي: (ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابرني أحد على الحق، ودفع الحجة الصحيحة إلا سقط من عيني ورفضته)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/١١٧).



٤- تجنب مجاراة أصحاب الأهواء والبدع في الجدل المذموم:

لقد ذمّ الله تعالى الهوى لما يترتب عليه من البعد عن طريقه المستقيم، فقال سبحانه: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[١]، والمعنى: (أن متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله، والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب، فينتج أن متابعة الهوى توجب سوء العذاب)[٢]، وقد حذر الله تعالى من متابعة الهوى؛ لما يترتب عليه من خزي الدنيا الآخرة، فينبغي لأهل العلم، التحلي باتباع المنهج الرباني في دعوة الناس وتغليبه على حظ النفس وهواها، وتجريدها من رغباتها وميولها، حتى تكتسب القدرة على التأثير.

وقد كان الإمام الشافعي رحمه الله يكف نفسه عن اتباع الهوى، وينأى عن كل ما يؤدي إلى ذلك، كالتعصب للرأي التابع لهوى النفس، والتشدد للفكر النابع من الرغبة في حظوظ الدنيا، والكف عن الجدل قدر الطاقة والاستطاعة، فلا يلجأ إليه إلا لضرورة، وذلك لما للجدل من تأثير في نفرة النفوس قد تصل إلى درجة ترسيخ العداوة، قال الإمام الشافعي رحمه الله: ("ما ناظرت أحدًا علمت أنه مقيم على بدعة"، ثم عقّب الإمام البيهقي رحمه الله بقوله: "وهذا لأن المقيم على البدعة قلما يرجع بالمناظرة عن بدعته، وإنما كان يناظر من يرجو رجوعه إلى الحق إذا بينه له، وبالله التوفيق")[٣]، وفي هذا الإطار يقول الإمام سفيان الثوري رحمه الله: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب

---

[١]- سورة ص، جزء من الآية رقم: (٢٦).

[٢]- مفاتيح الغيب، (٢٦/٣٨٦).

[٣] - ينظر: مناقب الشافعي للبيهقي (١/١٧٥).



منها)[1]، ومن جملة النصوص أيضًا ما سبق ذكره من قول الإمام الشافعي رحمه الله: "ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة"، ومنها: "ما كلمت أحدًا قط إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه"[2]، وذلك لأن المجادلة تقوم في الغالب على المخاصمة، وإفحام الخصم بالحجج والبراهين، بينما المجادلة المحمودة هي التي تسعى إلى تقرير الحق وبيان الصدق، ودعوة الناس إلى سبيل الله تعالى بالرحمة والرفق، والذب عن مصادر الدين، وبيانه شريعته بالرأفة واللين، وهذا ما دعا إليه الإسلام العظيم من خلال مصدريه، القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهي (محاورة كلامية منطوقة أو مسطورة تجري بين طرفين من ذوى المقدرة على الكلام في موضوع معين، بلا تحامل على المخالف، ولا تسفيه لرأيه، ولا تقبيح لفكره، مادام يريد الوصول إلى الحق في موضوع المجادلة)[3]، والجدل في حقيقته وغايته ينقسم إلى قسمين؛ فقد يكون الجدل (بحق وقد يكون بباطل، فإن كان أسلوب المجادلة للوقوف على الحق وتقريره كان محمودًا، وإن كان في مدافعة الحق أو كان بغير علم؛ كان مذمومًا)[4].

هذا، وقد امتثل الإمام الشافعي رحمه الله ما جاءت به الدعوة الإسلامية، بمراعاة تنوع الناس واختلافهم في قبول الحق والإذعان له، فكل إنسان له ما يناسبه من الطريقة التي يدعى بها، كل حسب ما يناسبه ويوافقه ويلائمه، وقد كان للتجرد من الهوى في دعوة الإمام الشافعي؛ الأثر البالغ في الدعوة إلى وحدة

---

١ – شرح السنة، الإمام البغوي، (١/٢١٦).

٢ – ينظر: مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ١٧٣) وما بعدها.

٣– منهج الدعوة إلى الله تعالى، الأساليب والوسائل، أد/ سعيد الصاوي، (ص: ٤٣)، بدون دار وتاريخ للطباعة.

٤– الكبائر، المنسوب للإمام الذهبي، (ص: ٢٢١)، الناشر: دار الندوة الجديدة – بيروت، باختصار.



الأمة، من خلال بيان موضوعات الدعوة بيانًا وافيًا لا لبس فيه ولا غموض، حيث عمل على تفعيل القدرات التأثيرية في موضوع الدعوة، مما جعل الصورة واضحة في أذهان جميع المدعوين، ولا يخفى ما لذلك من تأثير في نفوسهم، وقبولهم إياها والتفافهم حولها، وهذه غاية كبيرة، وهدف جليل، ومقصد عظيم من مقاصد الدعوة إلى الله.

من خلال ما سبق: يمكن القول إن هذه الجهود الفكرية التي رسخها الإمام الشافعي رحمه الله راجعة إلى قدراته العقلية الفذة وملكاته الفكرية الفريدة، (فإن مناقبه أكثر من أن تحصى، وعد ما جمع الله فيه لا يستوفى، إذ كان المخصوص من الدين، والرجحان الظاهر المبين، والتقدم في المسلمين؛ بما فاق به النظراء وسما به على الأكفاء، فصار نسيج وحده وفريد مجده وقريع دهره وواحد عصره، إن ذكرت المفاخر فهو الغاية، وإن عدت المحاسن فإليه النهاية، ذو القدم السابقة، وصاحب النية الصادقة، والفهم الراجح، والفضل الواضح، والمجد الشامخ، والسناء الباذخ، والفطنة الدقيقة، والقريحة العميقة، والعقدة الوثيقة، واستقامة الطريقة، وكرم الخلقة، والمزية الشامخة العليا، والتقدم في الفقه والفتيا، فتصرف في سائر العلوم بافتنان، وحاز ما عجز عنه أهل الأسنان، وضبط ذلك بحسن بصيرة وإتقان، ولو عدد المبالغون وأحصى مناقبه المحصون؛ لأدركتهم السآمة في حسابها، ولأقروا بالعجز عن استيعابها)[١]، قال الإمام أحمد رحمه الله: (ما رأيت أحدا أفقه في كتاب الله، من هذا الفتى القرشي)[٢]، وقال عنه يحيى بن أكثم رحمه الله: (قرشي العقل والفهم والذهن، صافي العقل والفهم والدماغ، سريع الإصابة – أو كلمة نحوها – ولو كان أكثر سماعًا للحديث، لاستغنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم

---

١ – مسألة الاحتجاج بالشافعي، (ص: ٥١– ٥٢).

٢ – آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٤٤ – ٤٥)، باختصار.



به عن غيره من الفقهاء)[1]، وقال إسحاق بن راهويه رحمه الله: "كنا بمكة والشافعي بها، وأحمد بن حنبل بها، فقال لي أحمد بن حنبل: "يا أبا يعقوب، جالس هذا الرجل"، يعني: الشافعي، قلت: "ما أصنع به وسنه قريب من سننا؟ أترك ابن عيينة؟!"، فقال: "ويحك! إن ذاك يفوت، وذا لا يفوت"؛ فجالسته)[2]، فرحمات الله تتوالى على هذا العلم العلامة والبحر الفهامة، الذي أوجد الله به علم وضع أصول النظر، وضبط الاستدلال، فمهد الطريق للأمة لفهم الأدلة الشرعية بالقواعد والضوابط، وطرق التعامل معها والاستدلال بها والاستنباط منها.

---

[1] – سير أعلام النبلاء، (١٠/ ١٧).

[2] – آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٣٣).



المطلب الثاني: الجهود العملية للإمام الشافعي في الدعوة إلى وحدة الأمة:

إن التباين والتفاوت والاختلاف بين البشر، فطرة إنسانية، وسنة كونية، وحقيقة شرعية، فخصال الناس مختلفة، وطبائعهم متفاوتة، وخصائصهم متغايرة، وفي هذا المعنى يقول الله تبارك وتعالى: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)[1]، وهذه الآية الكريمة تشعر (أن الخلاف لا يرتفع، مع ما يعضده من الجواب الذي فرغنا من بيانه، وهو حديث الفرق[2]، ... فإذا تقرر هذا ظهر به أن التعيين للفرقة الناجية بالنسبة إلينا اجتهادي لا ينقطع الخلاف فيه)[3]، وهذا يتطلب جهدًا كبيرًا وعملًا دؤوبًا في الحفاظ على وحدة الأمة وتدعيم أواصر الأخوة وروابط المحبة بين المسلمين، ومن يتتبع سيرة العلامة الشافعي رحمه الله يجد أنه قطع شوطًا طويلًا، وبذل

---

١ – سورة هود، الآيتان رقم: (١١٨ – ١١٩).

٢ – يشير الإمام الشاطبي إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : "ألا إنَّ مَنْ قبلَكم من أهلِ الكتابِ افترقُوا على ثِنتَين وسبعينَ ملَّةً، وإن هذه الملةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسَبعينَ، ثنتان وسبعونَ في النَّار، وواحدةٌ في الجنة، وهي الجماعة)، والحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه، أول كتاب السنة، باب شرح السُّنَّة، (٥/٧)، برقم: (٤٥٩٦)، وصححه المحقق في الهامش، وتوجيه هذا الحديث كما قال الإمام التميمي: (قد علم أصحاب المقالات أنه صلى الله عليه وسلم لم يُرِد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه، من أبواب الحلال والحرام، وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة رضي الله عنهم وما جرى مجرى هذه الأبواب، لأن المختلفين فيها قد كفر بعضهم بعضًا، بخلاف النوع الأول، فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تقسيم للمخالف فيه، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الخلاف)، تحفة الأحوذي، الإمام المباركفوري، (٣٣٢/٧)، طبعة: دار الكتب العلمية ببيروت.

٣ –الاعتصام، الإمام الشاطبي، (٢٤٩/٣)، طبعة: دار ابن الجوزي بالمملكة السعودية، ط١: ١٤٢٩هـ.

جهدًا كبيرًا، في تدعيم وحدة صف الأمة، وجمع كلمتها، ورفعة رايتها، وحفظ قوتها، وتدعيم ريادتها، ولم شملها، ورأب صدعها، وضمان بقائها، وتوحيد جهود علمائها، والانتفاع بتراث أئمتها، من خلال ما وهبه الله تعالى من مقومات شخصية وملكات فطرية، وأدوات فاعلة ومؤثرة في النفوس والقلوب والأذهان، كانت معينًا صافيًا لا ينضب، فضلًا عن العديد من الخطوات العملية، ومنها:

١- الخضوع للقرآن والسنة وتقديمهما على الاجتهاد العقلي:

إن الناظر إلى القرآن الكريم يتبين له أنه حافلٌ بالآيات القرآنية الدَّالة على وجوب اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة معًا، ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، كما أكد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى، بقوله: (تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم ....)[2]، وقد التزم الصحابة رضوان الله عليهم التزامًا دقيقًا بهذا الأمر الشرعي إيمانًا واحتسابًا، كما عمدوا رضوان الله عليهم ومن اقتفى أثرهم إلى الاجتهاد؛ انطلاقًا من قول النبي

---

[1]- سورة الحجرات، الآية رقم: (١).

[2]- صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، (٢/ ٨٩٠)، رقم: (١٢١٨)، بنحوه، وبلفظه في المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (١/١٧١)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١: ١٤١١هـ، وعقب عليه الإمام الحاكم بقوله: ("وقد احتج البخاري بأحاديث عكرمة واحتج مسلم بأبي أويس، وسائر رواته متفق عليهم، وهذا الحديث لخطبة النبي صلى الله عليه وسلم متفق على إخراجه في الصحيح: "يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟"، وذكر الاعتصام بالسنة في هذه الخطبة غريب ويحتاج إليها، وقد وجدت له شاهدا من حديث أبي هريرة"، {التعليق – من تلخيص الذهبي: (٣١٨): "احتج البخاري بعكرمة واحتج مسلم بأبي أويس عبد الله وله أصل في الصحيح}").

صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن: (كَيْفَ تَقْضِي إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟، قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ، قَالَ: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللهِ؟"، قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ قَالَ: "فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سَنَةِ رَسُولِ اللهِ؟"، قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو، قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرِي فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم ")[١]، وفي الحديث دلالة على أهمية الاجتهاد، واعتباره عند فقد النص الصريح؛ (وتلكم هي المقاصد الشرعية عينها التي شكلت لدي معاذ إطاراً مرجعياً مهماً في مواجهة تطورات البيئة الجديدة ومشكلاتها)[٢]، فضلًا عن أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يلجئوا إلى الاجتهاد بالرأي؛ إلا أذا لم يجدوا نصًا صريحًا من القرآن أو من السنة النبوية، حيث (كان اجتهادهم يقوم على أسس متنوعة تجمع بين النقل والعقل)[٣]، وعلى نهجهم سار التابعون، ثم بدأ التوسع في الرأي تدريجيًا، اطرد

١- سنن الإمام أبي داود، أول كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، (٥/٤٤٤)، برقم: (٣٥٩٢)، بنحوه، والمسند، الإمام أحمد، حديث معاذ بن جبل، (٣٦/٤١٧)، برقم: (٢٢١٠٠)، تحقيق: الشيخ/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢١هـ، بلفظه، قلت: وهذا الحديث قد ضعفه بعض أهل العلم غير أن الإمام الخطيب البغدادي قد ساقه بسنده فذكر معناه، ثم صححه وأجاب عما اعترض به على إسناده، ينظر: الفقيه والمتفقه، الإمام الخطيب البغدادي، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، (١/٤٧٢، ٤٧٣)، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، ط٢: ١٤٢١هـ.

٢- الاجتهاد المقاصدي حجيته ضوابطه، أ/ نور الدين الخادمي، تقديم: أ/ عبيد حسنة، (١/٨٧)، ط١: ١٤١٩هـ.

٣- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، د/ حسن أحمد مرعي (مقال بمجلة الاجتهاد في الشريعة الإسلامية وبحوث أخري، ص: ٨٨، مقدمة إلى مؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عام: ١٣٩٦هـ، طبعة الجامعة نفسها، سنة: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م). وينظر: الاجتهاد المقاصدي (١/٩١ وما بعدها).



البعض بالاجتهاد خارج حدود النص ومراده، فلما جاء الإمام الشافعي رحمه الله؛ قيد الاجتهاد بالقواعد المحكمة، وضبطه بالضوابط المبرمة، قال رحمه الله: (أعلم اللهُ رسوله صلى الله عليه وسلم منه عليه بما سبق في علمه، من عصمته إياه من خلقه، وأبان أنه قد فرض على نبيه صلى الله عليه وسلم اتباع أمره، وشهد له بالبلاغ عنه، وشهد به لنفسه، وفي شهادته له بأنه يهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله، والشهادة بتأدية رسالته، واتباع أمره، وفيما وصفتُ من فرضه طاعتَه، وتأكيدِه إياها في الآي ذكرتُ؛ ما أقام الله به الحجة على خلقه، بالتسليم لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع أمره)[1]، وهذا موطن الشاهد ومناط الاستشهاد، وقال رحمه الله: (وكل ما وصفت مع ما أنا ذاكرٌ وساكتٌ عنه اكتفاءً بما ذكرتُ منه عما لم أذكر من حكم الله، ثم حكم رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم حكم المسلمين؛ دليلٌ على أن لا يجوز لمن استأهل أن يكون حاكمًا أو مفتيًا أن يحكم ولا أن يفتي إلا من جهة خبر لازم، وذلك الكتاب ثم السنة، أو ما قاله أهل العلم لا يختلفون فيه، أو قياس على بعض هذا، لا يجوز له أن يحكم ولا يفتي بالاستحسان؛ إذ لم يكن الاستحسان واجبًا، ولا في واحد من هذه المعاني...)[2]، وقال: (إن من حكم أو أفتى بخبر لازم أو قياس عليه؛ فقد أدَّى ما كُلِّف، وحكم وأفتى من حيث أمر، فكان النص مؤديًا ما أمر به نصًا، وفي القياس مؤديًا ما أمر اجتهادًا، وكان مطيعًا لله في الأمرين، ثم لرسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بطاعة الله، ثم رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم الاجتهاد، فيروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ رضي الله عنه: "بم تقضي؟.... الحديث"، فأعلم أن للحاكم الاجتهاد والمقيس في

---

[1] – الرسالة للإمام الشافعي، (١/ ٨٥ وما بعدها)، باختصار.

[2] – الأم، للإمام الشافعي، (٣١٣/٧)، طبعة: دار المعرفة – بيروت، عام: ١٤١٠هـ.



موضع الحكم، ومن استجاز أن يحكم أو يفتي بلا خبر لازم، ولا قياس عليه، كان محجوجًا مخالفًا معنى الكتاب والسنة)[1]، فاستدل بقوله تعالى(أيحسب الإنسان أن يترك سدى)[2]، على أن الاستحسان بغير قياس لا يجوز.

ومن خلال النظر في هذه النصوص السابقة يتبين أن الإمام الشافعي رحمه الله قيد الاجتهاد ووضع حدًّا له فلا يخرج عنه، وهو الدور في حدود النص الشرعي، أو ما يدور مداره ولا يخالف مراده من الإجماع والقياس، وذلك من خلال ضبط عملية الاستدلال وترتيب مصادره، ورفض التوسع في الاجتهاد بالرأي خارج حدود النص أو مراده، اقتداءً بالصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان، كانوا إذا (اضطروا إلى الاجتهاد، لم يجمدوا على ظاهر النصوص، وإنما وقفوا بإزاء النصوص الموقف الذي تتطلبه الحكمة والعقل وسعة الأفق، وأدركوا أن الأحكام ليست مقصورة على ما دلت عليه النصوص حرفيًا، وإنما تؤخذ أيضًا من المعاني والعلل التي بُنِيَت عليها، وفي ضوء المقاصد: التشريعية وجوهرها الحفاظ على الأصول الخمسة الكلية الضرورية، وأنَّ المعاملات مبنية على مراعاة المصالح ودرء المفاسد)[3].

هذا، وقد عبر الأصوليون عن الاجتهاد بعبارات متفاوتة، لعل أقربها: (بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي، بطريق الاستنباط)[4]، غير أن الإمام الشافعي استمسك بنصوص الوحي لأقصى درجة، ولم يحد عنها قيد أنملة، بل تبرأ من

---

[1] - الأم، للإمام للشافعي، (٧/ ٣١٥)، باختصار.

[2] - سورة القيامة، الآية رقم: (٣٦).

[3]- اجتهاد التابعين، د/ وهبة الزحيلي، (ص:٢٥ وما بعدها)، دار المكتبي للنشر والتوزيع بسوريا، ط١: ١٤٢٠هـ، باختصار وتصرف يسير.

[4]- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الإمام الشوكاني، (٢/٢٠٥)، تحقيق: الشيخ/ أحمد عزو عناية، دمشق – كفر بطنا، الناشر: دار الكتاب العربي، ط١: ١٤١٩هـ.



أي اجتهاد مخالف للنص الشرعي وإن كان عن غير قصد[١]، قال رحمه الله: (كل ما قلت، وكان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولي، مما يصح، فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى، ولا تقلدوني)[٢]، فضلًا عن أنه رحمه الله عاش حياته وقضى عمره كله يدعو إلى اتباع الوحي الشريف، والتمسك به، والسير في طريقه، لا إلى تقليده في الاجتهاد والاستنباط، قال رحمه الله: (الأصل قرآن أو سنة، فإن لم يكن، فقياس عليهما، وإذا صح الحديث فهو سنة، والإجماع أكبر من الحديث المنفرد، والحديث على ظاهره، وإذا احتمل الحديث معاني، فما أشبه ظاهره، وليس المنقطع بشيء، ما عدا منقطع ابن المسيب)[٣]، وقال رحمه الله: (كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي، وإن لم تسمعوه مني)[٤]، بالرغم من أنه لم يحد عن نهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولم يخرج عن إطارهما، ويشهد له بذلك أهل الحديث أنفسهم[٥].

---

١ – عن سليمان المرادي، قال: (سمعت الشافعي، وذكر حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له رجل: "تأخذ به يا أبا عبد الله؟"، فقال: "سبحان الله! أروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لا آخذ به؟!، متى عرفت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا ولم آخذ به، فأنا أشهدكم أن عقلي قد ذهب")، آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٥٠).

٢ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/ ١٠٧).

٣ – سير أعلام النبلاء، (١٠/ ٢١)، ومناقب الشافعي،(٢/٣٠)، وآداب الشافعي ومناقبه (ص: ٧٠)، والمراد بالمنقطع مرسل الإمام ابن المسيب، ينظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، الإمام السخاوي، (١/ ١٨٤)، تحقيق: علي حسين علي، طبعة مكتبة السنة بمصر، ط١: ١٤٢٤هـ.

٤ – آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٧٠).

٥ – يقول الإمام إسحاق بن راهويه: (ما تكلم أحد بالرأي –وذكر الثوري، والأوزاعي، ومالكًا، وأبا حنيفة–، إلا الشافعيَّ؛ أَكْثَرُ اتِّبَاعًا، وَأَقَلُّ خَطَأً مِنْهُ)، آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٦٧).

وقد حرص الإمام الشافعي رحمه الله على الدعوة إلى الخضوع للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتقديمهما على الاجتهاد العقلي، موضحًا ما يترتب على البعد عنهما من غضب الله تعالى، ومن المفاسد العظمى، كضياع الأمة وتشتيت شملها، وطمع العدو فيها، مستندًا إلى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩ ﴾[١]، أي: (إن الذين فرقوا دينهم بأن اختلفوا فيه مع وحدته في نفسه فجعلوه أهواء متفرقة، ومذاهب متباينة؛ أنت بريء منهم محمى الجناب عن مذاهبهم الباطلة، وفرقهم الضالة، أو لست من هدايتهم إلى التوحيد في شيء، إنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ هو يتولى وحده أمرهم جميعا، ويعاقبهم على ذلك بما يستحقونه من عقوبات)[٢]، والآية عامة الحكم (في كل من فارق دين الله وكان مخالفا له، فإن الله بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلفوا فيه وكانوا شيعا، أي: فرقا كأهل الملل والنحل –وهي الأهواء والضلالات –فالله قد برأ رسوله صلى الله عليه وسلم مما هم فيه)[٣]، وفيها دلالة واضحة على خطر الاختلاف في الدين، واتباع الأهواء، والتنازع والتنافر، وتفتيت وحدة الأمة، ونهي عن كل السبل الوصلة إليه من خلال بيان والعقاب المترتب عليه.

٢- الدعوة إلى الإنصاف ونبذ التعصب:

الإنصاف خلق عظيم ومنهج إسلامي أصيل، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّـٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ

١- سورة الأنعام، الآية: (١٥٩).

٢- التفسير الوسيط، (٥/٢٢٨)، باختصار.

٣- تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٣٧٧).



ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[1]، أي: (كونوا قوامين بالحق لله، عز وجل، لا لأجل الناس والسمعة، شهداء بالقسط بالعدل لا بالجور، ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقًا كان أو عدوًا)[2]، وفي الآية دلالة علي وجوب امتثال الإنصاف في التعامل مع الآخرين، ولزوم العدل في كل حال مع كل أحد، قريبًا كان أم عدوًا بغيضًا، فهذا هو منهج الإسلام العظيم الذي أوصي به من خلال مصدريه الكتاب الكريم والسنة النبوية المشرفة، بل أوجب الالتزام بهذا النهج القويم، والدعوة إليه على بصيرة، وإن من المستحب في حق العالم (إذا سُئل عن شيء ويعرف أن غيره أعلم منه به، أن يرشد السائل إليه، فإن الدين النصيحة، مع الإنصاف والاعتراف بالفضل لأهله والتواضع)[3]، والإنصاف في معاملة الناس يعني: (العدل، وقيل هو استيفاء الحقوق لأربابها واستخراجها بالأيدي العادلة والسياسات الفاضلة، وهو والعدل توأمان نتيجتهما علو الهمة وبراءة الذمة باكتساب الفضائل واجتناب الرذائل)[4]، بينما الإنصاف في حق النفس (هو العدل من نفسك، بأن لم تترك لمولاك حقًا واجبًا عليك إلا أديته، ولا شيئًا مما نهيت عنه إلا اجتنبته)[5].

قال الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضى الله عنهما: (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من

---

[1]- سورة المائدة، جزء من الآية رقم: (٨).

[2]- تفسير القرآن العظيم، (١٢/٢)، باختصار.

[3] – شرح النووي على مسلم (٦/ ٢٥)، بتصرف يسير.

[4] – التوقيف على مهمات التعاريف، الإمام المناوي، (ص: ٦٥)، طبعة: عالم الكتب، القاهرة، ط١: ١٤١٠هـ باختصار.

[5] – شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (جـ ١/ ص: ١١٣).



الإقتار)[١]، وهنا جمع سيدنا عمار (في هذه الألفاظ الثلاث الخير كله، لأنك إذا أنصفته من نفسك، فقد بلغت الغاية بينك وبين خالقك، وبينك وبين الناس، ولم تضيع شيئًا، وهذا حض على مكارم الأخلاق واستئلاف النفوس، وهذا كله من كمال الإيمان)[٢]، وهذا نهج الصحابة رضوان الله عليهم، ومن تأمل (ما دار بين أبي بكر وعلي -ψ- من المعاتبة ومن الاعتذار وما تضمن ذلك من الإنصاف؛ عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانا لكن الديانة ترد ذلك)[٣].

وإذا تبين أن الإنصاف فضيلة كريمة؛ ثبت أن التعصب من أخطر الآفات والعقبات والمكدرات والمنغصات والقواطع والعوارض والعوائق في طرق البحث العلمي، فهو صورة من صور التحيز والعنصرية، تشترك أنواعه كلها في صفة واحدة هي (الانحياز إلى موقف الجماعة التي ننتمي إليها دون اختيار، ودون تفكير، والاستعلاء على الآخرين، والاعتقاد بأنهم أحط، كما أنه اعتقاد باطل بأن المرء يحتكر لنفسه الحقيقة أو الفضيلة، وبأن غيره يفتقرون إليها، ومن ثم فهم دائماً مخطئون)[٤]، ولو علم هذا المتعصب (المخدوع المغرور بأن سعيه ضلال، وعمله وبال، وأنه من الأخسرين أعمالًا؛ لأقصر عن غوايته، وأرعوى عن بعض

---

[١] - صحيح الإمام البخاري، كتاب الإيمان، باب: إفشاء السلام من الإسلام، (جـ ١/ ص: ١٥).

[٢] - شرح صحيح البخارى لابن بطال، (١/ ٨٤)، باختصار.

[٣] - فتح الباري، الحافظ ابن حجر، (٧/ ٤٩٥)، ترقيم: أ/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩هـ.

[٤] - التفكير العلمي، د/ فؤاد زكريا، (ص: ٩٦)، مكتبة مصر، القاهرة، ١٤١٢هـ، بتصرف يسير.



جهله)[1]، فضلًا عن أن التعصب يترتب عليه العديد من الآثار السلبية، من أخطرها على الفرد والمجتمع والأمة وأشدها ضراوة؛ عدم تقبل المخالف في الرأي، بل ربما يصل الأمر إلى حد السلوك العنيف؛ نتيجة الانحياز لبعض الآراء والمعتقدات، ولا شك أن هذا الأمر تلفظه النفس السوية، وتتأى عنه العقول السليمة؛ لما له من مضار على الروح والفكر ومناهج العلم، كما أن المتعصب متسم بروح الغرور والإقصاء وأحادية الفكر، وبالتالي فلا يستطيع الوصول إلى نتائج علمية نزيهة.

لذا؛ دعا الإمام الشافعي رحمه الله إلى الدعوة إلى الإنصاف، ونبذ التعصب ومواجهته، والدعوة إلى احترام المخالف، ولا أدلّ على ذلك مما نُقل عنه رحمه الله أنه قال: (إذا صح لكم الحديث، فخذوا به، ودعوا قولي)[2]، كما كان يوصي طلابه وتلاميذه ويعهد إليهم بالتجرد للعلم وتحرر الفكر من التبعية والتقليد الأعمى، وذلك لأن التعصب للرأي غالبًا؛ يؤجج الشحناء ويورث البغضاء، ويشعل نار الفتنة ويزيد بين الناس الفرقة، وفي هذا المعنى يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم")[3]، فقوله

---

[1] – أدب الطلب ومنتهى الأدب، الإمام الشوكاني، (ص: ٩٢)، تحقيق: عبد الله السريحي، الناشر: دار ابن حزم –بيروت، ط١: ١٤١٩هـ، باختصار.

[2] – آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٢٤٧ – ٢٤٨)، وقد سبق تخريجه.

[3] – أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (٦٦٤/٤)، برقم: (٢٥١٠)، وقال عنه: "هذا حديث قد اختلفوا في روايته عن يحيى بن أبي كثير"، وأخرجه الأمام أحمد في مسنده، مسند الزبير بن العوام رضي الله عنه، (٤٣/٣)، برقم: (١٤٣٠)، وقال عنه المحقق: (إسناده ضعيف لجهالة مولى آل الزبير، ومع



صلى الله عليه وسلم : (ولا تؤمنوا حتى تحابوا، معناه: لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب، وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا فهو على ظاهره وإطلاقه، فلا يدخل الجنة إلا من مات مؤمنًا، وإن لم يكن كامل الإيمان، فهذا هو الظاهر من الحديث، وقال الشيخ أبو عمرو رحمه الله: "معنى الحديث لا يكمل إيمانكم إلا بالتحاب، ولا تدخلون الجنة عند دخول أهلها إذا لم تكونوا كذلك"، وهذا الذي قاله محتمل والله أعلم)[١].

هذا، وقد حمل الإمام الشافعي رحمه الله لواء الدعوة العملية التطبيقية للتجرد والإنصاف، ونبذ التعصب الموجب للفرقة والاختلاف، ودفع التقاطع والتهاجر والشحناء والبغضاء وفساد ذات البين، من خلال الدعوة إلى احترام الغير، وإنزال الناس منازلهم، والاعتراف لهم بالفضل، ويؤكد ذلك ما يلي:

١- مناظرة الإمام الشافعي للإمام محمد بن الحسن، رحمهما الله تعالى، يقول الإمام الشافعي: (قال لي محمد بن الحسن: أيهما أعلم، صاحبنا أو صاحبكم؟، يعني: مالكًا وأبا حنيفة، قلت: على الإنصاف؟، قال: نعم، قلت: فأنشدك الله، من أعلم بالقرآن، صاحبنا أو صاحبكم؟ قال: صاحبكم، يعني مالكًا، قلت: فمن

ذلك فقد جود إسناده الحافظ المنذري في "الترغيب" ٥٤٨/٣، والهيثمي في "المجمع" ٣٠/٨، وأخرجه ابن عبد البر في "التمهيد" (١٢١/٦)، وأخرجه الطيالسي (١٩٣)، والترمذي (٢٥١٠)، والبيهقي في "الشعب" (٨٧٤٧)، وأخرجه البيهقي في"السنن" (٢٣٢/١٠)، و"الشعب" (٦٦١٣)، وأخرجه البزار (٢٠٠٢))، أ.هـ باختصار، قلت: والحديث له شاهد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها، (٧٤/١)، برقم: (٥٤)، أن رسول اللهصلى الله عليه وسلم قال: "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".

[١] – شرح النووي على صحيح الإمام مسلم، (٢/ ٣٦)، باختصار.



أعلم بالسنة، صاحبنا أو صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم، قلت: فأنشدك الله، من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتقدمين، صاحبنا أو صاحبكم؟ قال: صاحبكم، قال الشافعي: قلت: فلم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصول على أي شيء يقيس؟!)[1].

ومن خلال هذه المحاورة يتضح أن الإمامان تحاورا، حول المقارنة العلمية بين الإمام الجليل أبي حنيفة والإمام الجليل مالك، رحمهم الله تعالى جميعًا رحمة واسعة، ثم ردّ عليه الإمام الشافعي، وأظهر له الحق، بقوله: "والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصول على أي شيء يقيس؟!"، وبقوله: "فتجتمع في صاحبنا ثلاث لا تصلح الفتيا إلا بها، ويخل واحدة، ويخطئ صاحبك ثلاثا، ويكون فيه واحدة، فتقول: لا ينبغي لصاحبكم أن يتكلم، ولا لصاحبنا أن يسكت؟!"، وذلك لأن الاجتهاد يكون أكمل ممن اجتمع له علوم الكتاب والسنة وملك أدوات الاجتهاد، فإن الاستنباط والتحليل والاجتهاد إنما يكون على مصادر التشريع وأصول الدين؛ فبين له الحق دون أن يقدح في أي عالم منهما، ولم يتعصب لشيخه الرئيس الإمام مالك رحمه الله، وما حمله على ذلك إلا الإنصاف

---

١ – آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ١١٩)، وفي رواية أخرى قال الإمام الشافعي: (قلت لمحمد بن الحسن يوما، وذكر مالكًا وأبا حنيفة، فقال لي محمد بن الحسن: ما كان ينبغي لصاحبنا أن يسكت يعني أبا حنيفة، ولا لصاحبكم أن يفتي يريد مالكًا، قلت: نشدتك الله، أتعلم أن صاحبنا يعني مالكًا كان عالما بكتاب الله؟، قال: اللهم نعم، قلت: فنشدتك الله، أتعلم أن صاحبنا كان عالما بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: اللهم نعم، قلت: وكان عالما باختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟، قال: نعم، قلت: أكان عاقلًا؟، قال: لا، .... قلت: فتجتمع في صاحبنا ثلاث لا تصلح الفتيا إلا بها، ويخل واحدة، ويخطئ صاحبك ثلاثا، ويكون فيه واحدة، فتقول: لا ينبغي لصاحبكم أن يتكلم، ولا لصاحبنا أن يسكت؟!)، آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ١٥٤).



الذي نص عليه صراحة بقوله: "على الإنصاف؟، ولا شك أن الإنصاف يوجب الألفة والمحبة، ويجمع الأمة، ويدفع عنها نار الفرقة والشقاق والاختلاف، فينبغي على طالب العلم أن يقتدي بالأئمة الأعلام، والسادة الكرام، رحمهم الله (وليكن في مذاكراته متحريًا الإنصاف قاصدًا الاستفادة أو الافادة، غير مترفع على صاحبه بقلبه ولا بكلامه ولا بغير ذلك من حاله، مخاطبًا له بالعبارة الجميلة اللينة، فبهذا ينمو علمه وتزكو محفوظاته)[١].

فقد كان الإمام الشافعي يناظر الإمام محمد بن الحسن رحمها الله، فيغلبه ويفحمه، وقد صرّح نفسه بذلك[٢]؛ ورغم ذلك كان الإمام محمد بن الحسن يثني على الإمام الشافعي، ويجله، ويعترف له بالفضل[٣]، وما حمله على ذلك إلا تقوى الله تعالى، وتأثره بالإمام الشافعي رحمه الله، وبما كان عليه من التجرد والإنصاف ونبذ التعصب الموجب للفرقة والخلاف، وكلهم يستقي من أدب النبوة.

---

١ – شرح النووي على مسلم، (١/ ٤٨).

٢ – بوّب الإمام البيهقي بابًا بعنوان: (باب ما جاء في حسن مناظرة الشافعي رحمه الله، وغلبته بالعلم، والبيان كل من ناظره، وهذا باب كبير لو نقلت فيه ما ورد في معناه لطال به الكتاب، وقد نقلت من مناظراته ما أودعه كتبه إلى المبسوط المردود إلى ترتيب المختصر، واقتصرت هاهنا على أطراف منها، وعلى ما حضرني من أقاويل أهل العلم في الإعجاب بها)، مناقب الشافعي للبيهقي (١٧٨/١)، ونقل فيه قوال الإمام الشافعي: (ناظرت محمد بن الحسن، وكان عليه ثياب رقاق، وكان يناظرني فتنتفخ أوداجه وينقطع حتى بقى بلا زر)، مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ١٨٢).

٣ – يقول الإمام محمد بن الحسن: (إن كان أحد يخالفنا يومًا فيثبت خلافه علينا؛ فالشافعي، فقيل له: لم؟، قال: لتأتيه ولتثبته في السؤال والاستماع)، مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٢٤٦). وقال أيضًا: (إن تكلم أصحاب الحديث يوما، فبلسان الشافعي يتكلمون)، مناقب الإمام الشافعي لابن قاضي شهبة (ص: ٦١).



وقد كان حرص الإمام الشافعي رحمه الله على الدعوة إلى الإنصاف ونبذ التعصب من باب الحرص على وحدة الأمة وجمع كلمتها، فإن الرأي إذا كان (على أصل من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إجماع الأمة؛ فهو محمود، وهو الاجتهاد والاستنباط الذى أباحه الله للعلماء، وأما الرأي المذموم والقياس المتكلف المنهى عنه، فهو ما لم يكن على هذه الأصول؛ لأن ذلك ظن ونزغ من الشيطان، والدليل على صحة هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[١]، قال ابن عباس: لا تقل ما ليس لك به علم، وقال قتادة: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم)[٢]، كما أن الالتفاف حول مائدة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ توحيد للصف وترسيخ لدعائم الراية، بينما التوسع في الاجتهاد دون قيد أو ضابط يفضي إلى الاختلاف الموجب للفرقة والتنازع، عملًا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ١٥٩ ﴾[٣]، وفي الآية دلالة على وجوب التمسك بحبل الله والاعتصام بالكتاب والسنة، ولزوم جماعة المسلمين، ولقد كان الإبقاء على الود لونًا من ألوان حكمة الإمام الشافعي ورجاحة عقلة[٤]، وقد انطلق جهد الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في هذه الدعوة من قول الله عز وجل على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ

١- سورة الإسراء، آية: ٣٦.

٢- شرح صحيح البخاري، للإمام ابن بطال، (١٠/ ٣٥١).

٣- سورة الأنعام، الآية رقم: (١٥٩).

٤ - قال يونس الصدفي: (ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة"، قلت – الذهبي في السير-: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧).

﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ﴾[1]، أي: (لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد)[2]، فيصيبكم سخط الله وعذابه، ولا شك أن التزام الإنصاف أحرى في قبول الدعوة وإقامة الحجة، فلا يحمل الإنسانَ مخالفةُ الرأي إلى بغض المخالف ومن ثم ظلمه أو انتقاصه حقه.

٣- الشمولية في تحصيل العلم.

إن من أجل غايات طلب العلم الشرعي أن يعتصم المسلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأن يدعو إلى ذلك وألا يحيد عنه قيد أنملة؛ حتى تنجح دعوته وتؤتي ثمارها، ولا شك أن منهج الإسلام هو المنهج الكامل المعصوم من كل خطأ أو ذلل، وقد امتن الله تعالى بنعمته (على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه، فلما أكمل الدين لهم؛ تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[3]، أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه، وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه)[4]، والمعنى: (اليوم أكملت لكم أيها المؤمنون فرائضي عليكم وحدودي، وأمري إياكم ونهيي ......، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم)[5]، وفي الآية دلالة على شمولية الإسلام، لذا؛ يجب على العلماء والدعاة إلى الله تعالى، معرفة المنهج الرباني والعلم به والالتزام بما تضمنه الكتاب الكريم والعمل بما فيه والدعوة إليه، وفي هذا المعنى يقول الله

١- سورة هود، الآيتان: (٩٠ – ٨٩).

٢- تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٣٤٦).

٣- سورة المائدة، جزء من الآية رقم: (٣).

٤- تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٢٦).

٥- جامع البيان، الإمام الطبري (٨/ ٨٠)، تحقيق: د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر، ط١: ١٤٢٢هـ.



تعالى: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[1]، أي: (اقتد به، واقتف أثره، واعمل به؛ فإن ما أوحي إليك من ربك هو الحق الذي لا مرية فيه)[2]، وفي الآية دلالة على وجوب الالتزام بنهج القرآن الكريم على علم.

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (عليكُم بسنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ، المَهديِّينَ الرَّاشدينَ، تَمَسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنَّواجذِ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ، فإن كُلَّ مُحدَثَةٍ بدْعَةٌ، وكل بدعَةٍ ضَلالةٌ"[3]، وفي الحديث دلالة على وجوب الاعتصام بما ثبت من سنته صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين ψ، حتى يكون المسلم على علم بما يحمله، وبصيرة بما يدعو إليه، كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان لهم من الفهم في كتاب الله تعالى ما لا يخفى على أحد، فجمع الله لهم بين العلم والفهم.

وقد سار الإمام الشافعي رحمه الله على نهج الصحابة رضي الله عنهم، واقتفى أثرهم، واستمسك بهديهم وسيرهم، فلم يحد عنهم قيد أنملة، حتى بزغ بين الورى فَجْرُه، وسطع في الآفاق نجمه، وعلى بين الناس قدره، وهذ راجعٌ إلى علمه النافع وقدره الوافر، واستيعابه للمدارس العلمية السابقة عليه والمعاصرة له، والشمولية في تحصيل العلم، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

أ- <u>جمع علوم الأمصار:</u>

فقد أخذ الإمام الشافعي رحمه الله علم الأمصار وجمعه ووعاه عمن انتهى إليهم العلم بها، أما المدينة المنورة (فقد انتهى العلم بها إلى الفقهاء السبعة، وهم الذين نظم الشاعر أسماءهم بقوله:

---

[1]- سورة الأنعام، الآية رقم: (١٠٦).

[2]- تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٣١٤).

[3]- سنن الإمام أبي داود، أول كتاب السنة، باب في لزوم السُّنَّة، (٧/ ١٦)، برقم: (٤٦٠٧).



إذا قيل مَنْ في العلم سَبْعَة أَبْحُر ... رِوَايتهم ليست عن العلم خَارِجَهْ

فقل: هم عُبَيد اللَّه عروة قاسم ... سعيدٌ أبو بكرٍ سُلَيْمان خَارِجَه)[1]، فأخذ عنهم)[2].

ب- <u>تحصيل العلوم الشرعية والدنيوية:</u>

لا غرو ولا عجب من هذه الجملة، فقد جمع الله له من أصناف العلم الكثير والكثير، ومما يؤكد هذا ويقرره، المناظرة التي دارت بينه وبين الخليفة العباسي هارون الرشيد[3].

جـ- <u>الجمع بين علوم المدارس العلمية، مدرستي: (الحديث والرأي):</u>

سبق البيان أن الإمام الشافعي رحمه الله وهبته أمه للعلم، وحصل من العلم ما شاء الله له أن يحصل، كما أنه طاف الأرض شرقًا وغربًا؛ (فاجتمع له علم أهل الرأي وعلم أهل الحديث، فتصرف في ذلك حتى أصل الأصول وقعد القواعد وأذعن له الموافق والمخالف واشتهر أمره وعلا ذكره وارتفع قدره حتى صار منه

---

[1] – إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام ابن القيم، (٢/ ٤٢)، تقديم وتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، وأبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤٢٣هـ.

[2] – (وأما أهل مكة فانتهى العلم فيهم إلى عطاء وطاووس ومجاهد وعمرو بن دينار وابن أبي مليكة، فأخذه عنهم، وانتهى العلم في الشاميين إلى عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فأخذ الشافعي علمه عن صاحبه عمرو بن أبي سلمة، وكان الليث بن سعد انتهى إليه علم أهل مصر فأخذ الشافعي علمه عن جماعة من أصحابه والذي عول عليه من بينهم يحيى بن حسان، أخذ علم العراقيين عن أهل الكوفة والبصرة معًا، وكمل للشافعي مطالعة علم جميع الأمصار والإشراف على حال علماء سائر الأقطار، وقد ذكرنا في هذه الأوراق على سبيل الاختصار ما فيه مقنع لذوي النهى والأبصار)، الاحتجاج بالشافعي، (ص: ٧٠ وما بعدها)، باختصار.

[3] – ينظر: مناقب الشافعي للأبري (ص: ٧٠ وما بعدها).

ما صار)[1]؛ فقويت حجته، وعلت كلمته[2]، فقد اختار الله للإمام الشافعي طريق العلم، واختاره له، منذ نعومة أظفاره، كما حباه بقوة الحفظ ومتانته، وملكة الفهم، قال الإمام أحمد رحمه الله: (لولا الشافعي، ما عرفنا فقه الحديث)[3]؛ فشكر الإمام الشافعي نعمة الله تعالى عليه بإفناء العمر في طلب العلم النافع، وبذل الغالي والنفيس لأجله، وتحصيل أصنافه، وجمع طرائقه، من خلال الحرص على طلبه، وإجادة جمعه، وكثرة السؤال عنه، والإصرار عليه، ليجمع علم المدارس العلمية الكبرى في عصره، فأخذ علم مدرسة الحديث والأثر على يد الإمام مالك رحمه الله، وحصّل علم مدرسة الرأي وعلم أبي حنيفة بمدارسة الإمام محمد بن الحسن رحمهما الله، فاجتمع له علم أهل الحديث والأثر، وعلم أهل الرأي والنظر، قال الإمام الشافعي: (كان محمد بن الحسن، جيد المنزلة، فاختلفت إليه، وقلت: هذا أشبه لي من طريق العلم، فلزمته، وكتبت كتبه، وعرفت قولهم، وكان إذا قام ناظرت أصحابه)[4]، هذا الأخذ والتعلم، يعتبر من أروع الأمثلة على التوافق والتراحم بين أئمة الإسلام وأعلام المذاهب الفقهية المختلفة، بل يعتبر دليلًا واضحًا وبرهانًا ساطعًا على وحدة الأصل الذي يستقي منه علماء الإسلام جميعًا، فكان يُجل بعضهم بعضًا ويقدر بعضهم بعضًا[5].

---

[1] – توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس، (ص: ١٢٣).

[2] – آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٢٢)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٦٩)، مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ١٠١).

[3] – مناقب الإمام الشافعي لابن قاضي شهبة (ص: ٦٤)

[4] – آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٢٦).

[5] – مما يؤكد ذلك المعنى، ما ذكره الإمام الشافعي عن الإمام محمد بن الحسن رحمهما الله، قال: (قال لي ذات يوم: "بلغني أنك تخالفنا في الغصب"، فقلت: "أصلحك الله، إنما هو شيء أتكلم به على المناظرة"، فقال: "لقد بلغني غير هذا، فناظرني أو كلمني فيها"، فقلت: "إني



ويكمن سر هذا التحصيل العلمي، في الرغبة الشديدة والعزم الأكيد لدى الإمام الشافعي على إيجاد أرض مشتركة، ومساحة خصبة، بين مدرسة أهل الحديث والأثر وبين مدرسة الرأي والنظر، تضبط عملية الاجتهاد، بضوابط لا يخرج عنها إلى حد معارضة النصوص الشرعية، وغلق أبواب التوسع في الاجتهاد، وقصر طريقه على إعمال العقل في فهم النص، وتحفيز الملكات العقلية إلى فهم مرامي النص وسياقه المحيط، فيحمل العلم بفهم ووعي، ويسير في طريق الاجتهاد بحصن حصين، فعن الربيع بن سليمان قال: (سمعت الشافعي، وذكر من يحمل العلم جزافًا، فقال: هذا مثل حاطب ليل، يقطع حزمة الحطب، فيحملها، ولعل فيها أفعى تلدغه، وهو لا يدري، قال الربيع: يعني الذين لا يسألون عن الحجة، من أين هي؟، قلت:–البيهقي– يعني من يكتب العلم على غير فهم، ويكتب عن الكذاب، وعن الصدوق، وعن المبتدع وغيره، فيحمل عن الكذاب والمبتدع الأباطيل، فيصير ذلك نقصا لإيمانه، وهو لا يدري)[١].

وبالرغم من هذا الكم الهائل الذي حمله الإمام الشافعي رحمه الله؛ إلا أنه سخر طاقته البشرية في خدمة الأمة، وإعزاز أئمتها، فقد تربى على احترام العلماء وتوقيرهم، والتواضع بين أيديهم، وتسخير العلم؛ لخدمة الناس ورفعة الأمة، وتعبد الخلق لله تعالى بحق، قال رحمه الله: (ما طلب أحد العلم بالتعمق وعز النفس؛ فأفلح، ولكن من طلبه بضيق اليد وذلة النفس وخدمة العالم؛ أفلح)[٢]، وقال: (ما شبعت منذ ست عشرة سنة، إلا شبعة اطرحتها، يعني فطرحتها؛ لأن الشبع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن

أجلك عن المناظرة"، فقال: "لا بد من ذلك"، ... فترك محمد بن الحسن قوله، ورجع إلى قول الشافعي)، مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ١٠٧– ١١٠)، باختصار.

١ – آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٧٤).

٢ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٩).



العبادة)[1]، وذلك لأن غرضه الرئيس من تحصيل العلم، هو ترسيخ العديد من القواعد العلمية التي تضبط عملية الاجتهاد وتضعه في سياقه الصحيح، ولا شك أن هذا يؤثر في جمع الأمة والتأليف بين أبنائها، فجراه الله خيرًا جزاء ما قدم.

[1] – آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٧٨).



المبحث الثالث

أثر منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي:

بالتأمل وإعمال العقل بالنظر في التعريف اللغوي والاصطلاحي للأثر[1]، يتضح توافقهما في المعنى، وهو النتيجة التي تؤكد وجود شيء ما، وفيما يلي الحديث عن أثر منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي في الداعية والمدعو وموضوع الدعوة، من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: أثر منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي في الداعية

كان لمنهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي أثر كبير في الداعية، ويتضح ذلك بما يلي:

١- العناية بفقه السنة وعلم الحديث تأثرًا بالإمام الشافعي رحمه الله:

اهتم علماء الأمة الأجلاء على مدار التاريخ اهتمامًا بالغًا بفقه الحديث النبوي والسنة المطهرة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الإمام البيهقي رحمه الله، فقد أنفق حياته (في تحصيلها ودرسها وإيصالها نقية بيضاء إلى أبناء الإسلام الذين افترض عليهم ربهم أن يأخذوا ما آتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ينتهوا عما نهاهم عنه، والذين أمرهم رسولهم الكريم أن يبلغوا عنه مقالته إلى من بعدهم لتكون كلمة الله وكلمة رسوله صلى الله عليه وسلم باقية على وجه الزمان؛

---

[1]- الأثر لغة هو: (بقية الشيء، وما بقي من رسم الشيء، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء)، لسان العرب، (٥/٤)، باختصار، وعليه: فالأثر هو ما يتركه الشيء خلفه ويدل عليه، سواء كان جزءا من الشيء، أم نتيجة مترتبة على حدوثه، واصطلاحًا: (حصول ما يدل على وجود الشيء والنتيجة، وأثرت الحديث نقلته)، التوقيف على مهمات التعاريف، (ص: ٣٨)، ويأتي بعدة معان: (النتيجة وهو الحاصل من الشيء، والعلامة، والجزء)، التعريفات (ص: ٩)، باختصار.



تنير للمسلمين سبيلهم، وتدير على الحق أعمالهم وأقوالهم، وتجمع قلوبهم على عبادة من خلقهم ورضى لهم الاسلام دين عزة وسعادة في الدنيا والآخرة، وقد دفعه هذا الشغف العظيم إلى العناية بآثار الشافعي ناصر السنة، ومؤسس فقهها، وفاتح أقفالها، والذي شهد له أعلام العلماء بأنهم ما عرفوا فقه السنة إلا بعد أن استخرج مكنونها، واستنبط فنونها، وجلى دقائقها ببيانه المشرق المتين، وأسلوبه الجزل الرصين، وما كانت عناية البيهقي بآثار الشافعي وليدة الخطرة العابرة، والفكرة السائرة، والنظرة الطائرة، بل كانت وليدة التأمل الوثيق، والتفكر العميق، والاعتبار الدقيق، والمقايسة بين ما كتبه أعلام الأئمة الذين قاموا بعلم الشريعة، وبنوا مذاهبهم على مبلغ علمهم من كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد انتهت تلك المقايسة بالبيهقي إلى عرفانه أن الشافعي أكثر الأئمة إتباعًا، وأقواهم احتجاجًا، وأصحهم قياسًا، وأبينهم بيانًا، وأفصحهم لسانًا، وأوضحهم إرشادًا فيما صنف من كتب في الأصول والفروع جميعا)[1]، وقد دفع هذا الإمام البيهقي رحمه الله إلى أن يخص الإمام الشافعي بكتابٍ فريد، تضمن: سيرته ومسيرته وحياته وفضله، وخصال الخير الجامعة التي منحه الله إياها، وآثاره الدعوية في وحدة الأمة وجمع كلمتها، وشق طريق العلم المتكامل المبني على القواعد والأصول.

٢- <u>الحرص على متابعة الدليل، واجتناب التقليد المذموم:</u>

سبق البيان أن الإمام الشافعي رحمه الله له كلمات بمثابة حبات العقد النادر، انفرد بها، ولم يسبقه إليها أحد من الناس، ومنها قوله: (إذا صح لكم الحديث، فخذوا به، ودعوا قولي)[2]، فهذه دعوة إلى التجرد للعلم وعدم التقيد والتقليد الأعمى

---

[1] - مناقب الشافعي للبيهقي، (المقدمة / ص: ٧).

[2] - آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٢٤٧ - ٢٤٨)، وقد سبق تخريجه.



لأي أحد ولو كان الإمام الشافعي نفسه، وقد التزم علماء المذهب الشافعي بما دعا إليه إمامهم رحمه الله، يقول الإمام النووي رحمه الله: (وقد عمل بهذا أصحابنا في مسألة التثويب[١]، واشتراط التحلل من الإحرام بعذر المرض وغيرهما مما هو معروف في كتب المذهب، وقد حكى المصنف ذلك عن الأصحاب فيهما، ... عملوا بالحديث وأفتوا به قائلين: مذهب الشافعي ما وافق الحديث، ولم يتفق ذلك إلا نادرًا، ومنه ما نقل عن الشافعي فيه قول على وفق الحديث)[٢]، وبهذا لم يخالف أئمة المذهب إمامهم الشافعي ولا مذهبه، وإن قالوا بغيره في الفتوى أو عدلوا عن رأيه في مسألة، فقد دعا الإمام الشافعي إلى التحرر من قيد التقليد، واتباع الفهم دقيق للدليل بحرية تامة، وهذا الكلام لا شك أنه مقيد منضبط، فلا ينبغي أن يفهم على إطلاقه، وإنما يقصد به العلماء العارفون المختصون بالعناية بمذهب الإمام الشافعي وجمع آرائه والوقوف على أدلته، ونظره فيها، ومطالعته إياها[٣].

---

١ – التثويب هو: (الترجيع وتكرير النداء، ومنه التثويب في الأذان، وهو أن يقول المؤذن في أذان الصّبح: "الصّلاة خير من النّوم" مرتين بعد الحيعلتين)، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، أ/ محمود عبد الرحمن عبد المنعم، (١/ ٤٣٠)، الناشر: دار الفضيلة، باختصار.

٢ – المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي، الإمام النووي، (١/٦٣)، طبعة: دار الفكر، باختصار، وينظر تعقيب الإمام النووي على مسألة جواز صوم الولي، (٦/٣٧٠).

٣ – يقول الإمام النووي رحمه الله: (وهذا الذي قاله الشافعي ليس معناه أن كل أحد رأى حديثًا صحيحًا قال هذا مذهب الشافعي وعمل بظاهره، وإنما هذا فيمن له رتبة الاجتهاد في المذهب على ما تقدم من صفته أو قريب منه، وشرطه أن يغلب على ظنه أن الشافعي رحمه الله لم يقف على هذا الحديث، أو لم يعلم صحته، وهذا إنما يكون بعد مطالعة كتب الشافعي كلها ونحوها من كتب أصحابه الآخذين عنه وما أشبهها، وهذا شرط صعب قل من ينصف به، وإنما اشترطوا ما ذكرنا لأن الشافعي رحمه الله ترك العمل بظاهر أحاديث كثيرة رآها وعلمها



ولم يكن الأمر قاصرًا على أتباع المذهب الشافعي ومن جاءوا بعده فقط، بل تعداه إلى أئمة المذاهب الكبار وعلماء الأمة الأبرار، شهد بذلك الإمام الحميدي رحمه الله حين دعاه الإمام أحمد إلى مجالسة الإمام الشافعي، فقال: (فجلسنا إليه، ودارت مسائل، فلما قمنا، قال لي أحمد بن حنبل: كيف رأيت؟، فجعلت أتتبع ما كان أخطأ فيه، وكان ذلك مني بالقرشية يعني: من الحسد، فقال لي أحمد بن حنبل: فأنت لا ترضى أن يكون رجل من قريش يكون له هذه المعرفة، وهذا البيان؟!، أو: نحو هذا من القول، تمر مائة مسألة يخطئ خمسًا أو عشرًا، اترك ما أخطأ، وخذ ما أصاب، قال: وكان كلامه وقع في قلبي، فجالسته فغلبتهم عليه، فلم نزل نقدم مجلس الشافعي، حتى كان بقرب مجلس سفيان)[١]، ولا شك أن موقف الإمام أحمد لا يعدو ما رسّخ إليه أمامنا الشافعي ونبه عليه بقوله: (كل ما قلت لكم، فلم تشهد عليه عقولكم وتقبله، وتره حقا فلا تقبلوه، فإن العقل مضطر إلى قبول الحق)[٢]، وقوله: (إن أصبتم الحجة في الطريق مطروحة فاحكوها عني فإني قائل بها)[٣]، فإن صحبة الإمام أحمد للإمام الشافعي رحمهما الله ثابتة، وتأثره به أمر لا خلاف عليه، نص على ذلك الإمام أحمد نفسه، فعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: (قلت لأبي: يا أبه أيّ رجل كان الشافعيّ؟، فإني سمعتك تكثر الدّعاء له؟، فقال له: يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عنهما عوض؟، ... وقال أبو داود: "ما

لكن قام الدليل عنده على طعن فيها أو نسخها أو تخصيصها أو تأويلها أو نحو ذلك...)، المجموع شرح المهذب، (١/٦٤).

١ – آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٣٤).

٢ – آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٦٨)، ومناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١٨٦).

٣ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/ ١٢٤).



رأيت أحمد يميل إلى أحد، ميله إلى الشافعي")[1]، رحمة الله عليهم جميعًا.

٣- التوارث الدعوي للضبط العلمي:

إن من أهم الآثار الدعوية لدعوة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى التي أثرت في الداعية؛ ضبط التصنيف ومراجعة التأليف، فهي من أهم أدوات نشر علوم الدعوة إلى الله تعالى، كما أنها لون من ألوان الاستفادة من خبرات العلماء السابقين؛ وهذه السنة تسمى سنة التوارث الدعوي، وهي تعني: (أن يُقَدِّم السابق للاَّحق خلاصة تجاربه، وعصارة حياته الدعوية، ليبدأ اللاحق من نقطة انتهاء السابق، فهذه القضية إذًا من أهم القضايا الدعوية على الإطلاق لأنها توفر الجهود، وتسدد المسيرة، ويُؤْمَن معها وبها الزلل والخلل إن شاء الله تعالى)[2]، ولا شك أن هذا التوارث ينهض بالدعوة شيئًا فشيئًا، من خلال امتزاج خبرات السابقين المورثين بجهود اللاحقين الوارثين، إلى غير ذلك من الفوائد، ومنها: (بقاء العمل واستمراره ونماؤه وتطوره، ووحدة الصف الإسلامي حينًا بعد حين، فبه يتم الحفاظ على الأهداف الدعوية والثوابت الشرعية، كما أن فيه تربية للدعاة على التبعية للمبادئ لا للأشخاص، لأنهم عرضة للأغيار[3]، وتربية الدعاة على

---

[1] - مناقب الإمام الشافعي لابن قاضي شهبة (ص: ٢٨).

[2]- التوريث الدعوي، د/ محمد بن موسي الشريف، (ص: ١١)، طبعة دار الأندلس الخضراء بجدة، ط١: ١٤٢٢هـ.

[3]- قلت: وذلك لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، ولا يعرف بم يختم له، قال الصحابي الجليل ابن عمر رضي الله عنهما: ("مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَقْلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ فَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ")، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣٠٥).



النظر إلى إخوانهم من العاملين معهم على أنهم أنصار يكمل بعضهم بعضًا لا على أنهم خصوم، فالتوارث يجعل المدعو عوناً للداعي؛ فتتضاعف الجهود ويرتفع عن المورث كثيرًا من التبليغ، وقد يفتح الله على المدعو الذي ورث الدعوة مالم يتحقق على يد من ورثه)[١]، وهذا نهج أهل العلم[٢].

لذا؛ ينبغي على كل طالب علم أن يعلم سيرة السابقين، ومسيرة السالفين، ومنهم العلم العلامة والبحر الفهامة، إمامنا الشافعي رحمه الله، فقد (كان من أنواع المحاسن بالمقام الأعلى والمحل الأسنى؛ لما جمعه الله الكريم له من الخيرات، ووفقه له من جميل الصفات، وسهله عليه من أنواع المكرمات، فمن ذلك ... أنه جاء بعد أن مهدت الكتب وصنفت، وقررت الأحكام ونقحت؛ فنظر في مذاهب المتقدمين وأخذ عن الأئمة المبرزين وناظر الحذاق المتقنين، فنظر مذاهبهم وسبرها، وتحققها وخبرها، فلخص منها طريقة جامعة للكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولم يقتصر على بعض ذلك، وتفرغ للاختيار والترجيح والتكميل والتنقيح، مع كمال قوته وعلو همته وبراعته في جميع أنواع الفنون واضطلاعه منها أشد اضطلاع، وهو المبرز في الاستنباط من الكتاب والسنة، البارع في معرفة الناسخ

١- ينظر: وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه دراسة دعوية، أد/ يسري عبد الخالق خضر، (ص: ١٩، ٢٠)، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا، العدد: (١٨)، الجزء: الخامس: ٢٠٠٧م، بتصرف يسير.

٢ – قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: (بم أصبت هذا العلم، قال: "بلسان سؤول وقلب عقول"، وقال ابن وهب عن يونس قال الزهري: "العلم خزائن وتفتحها المسألة"، وروي عن الزهري أنه كان يرجع إلى منزله وقد سمع حديثا كثيرا فيعيده على جارية له من أوله إلى آخره كما سمعه ويقول لها: "إنما أردت أن أحفظه وكان غيره يعيده على صبيان المكتب ليحفظه"، وقال الأوزاعي عن الزهري: "آفة العلم النسيان وقلة المذاكرة")، الآداب الشرعية والمنح المرعية، الإمام شمس الدين المقدسي، (١١٩/٢)، تحقيق الشيخ: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت: ١٤١٧هـ.



والمنسوخ والمجمل والمبين والخاص والعام وغيرها من تقاسيم الخطاب، فلم يسبقه أحدٌ إلى فتح هذا الباب لأنه أول من صنف أصول الفقه بلا خلاف، وهو الذي لا يساوى بل لا يدانى في معرفة كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد بعضها إلى بعض وهو الإمام الحجة في لغة العرب ونحوهم فقد اشتغل في العربية عشرين سنة مع بلاغته وفصاحته ومع أنه عربي اللسان والدار والعصر وبها يعرف الكتاب والسنة: وهو الذي قلد المنن الجسيمة جميع أهل الآثار، وحملة الأحاديث ونقلة الأخبار، بتوقيفه إياهم على معاني السنن وتنبيههم، وقذفه بالحق على باطن مخالفي السنن وتمويههم، فنعشهم بعد أن كانوا خاملين، وظهرت كلمتهم على جميع المخالفين ودمغوهم بواضحات البراهين، حتى ظلت أعناقهم لها خاضعين)[١].

كما كان رحمه الله حريصًا أشد الحرص على التوريث الدعوي لما يحمله من أبواب العلم وأصناف الفقه، قال الربيع رحمه الله: (كان الشافعي يجلس في حلقته إذا صلّى الصبح فيجيئه أهلُ القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث؛ فيسألونه عن تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا واستوت الحلقة للمُذَاكَرة والنّظر، فإذا ارتفع الضّحى تفرّقوا وجاء أهلُ العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى أن يَقْرُبَ انتصافُ النهار، ثم ينصرف، رحمه الله، ولو رأيت الشافعي لاستحييت أن تنظر، يعني من هيئته وجلالته)[٢]، كما كان رحمه الله حريصًا أيضًا على ضبط العلم، ومراجعته وصيانته، ليكون إرثًا نقيًا[٣]، ومما

١- المجموع شرح المهذب، (١/ ١٠)، بتصرف يسير.

٢ – مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٢٨٥).

٣ – بوب البيهقي بابًا في مناقب الشافعي بعنوان: (ما يستدل به على رغبة علماء عصر الشافعيِّ ومَنْ بَعْدهم في كُتُبِه، والاقْتبَاس من عِلْمه، والانتفاع به، وحسن الثناء عليه؛ وذلك لانفراده من بين فُقَهاء الأمصار بحسن التأليف؛ فإن حسن التصنيف يكون بثلاثة أشياء: الأول



يؤكد ذلك ما روي عن عبد الملك بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران، رحمهم الله أنه قال: (قال لي أحمد بن حنبل: ما لك لا تنظر في كتب الشافعي؟، فما من أحد وضع الكتب منذ ظهرت، أتبع للسنة من الشافعي)[1]، وعن محمد بن مسلم بن وارة([2]) الرازي، قال: (سألت أحمد بن حنبل، قلت: ما ترى لي من الكتب أن أنظر فيه، ليفتح لي الآثار، رأي مالك، أو الثوري، أو الأوزاعي؟، فقال لي...: عليك بالشافعي؛ فإنه أكثرهم صوابًا، أو أتبعهم للآثار - الشك مني -، قلت لأحمد: فما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين، أحب إليك؟، أو التي بمصر؟، قال: عليك بالكتب التي وضعها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق، ولم يحكمها، ثم رجع إلى مصر، فأحكم تلك، فلما سمعت ذلك من أحمد بن حنبل، وكنت قبل ذلك قد عزمت على الخروج إلي البلد، وتحدث بذلك للناس، تركت ذلك، وعزمت على الرجوع إلي مصر)[3].

ومما يذكر في هذا الباب (أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على

حسن النظم والترتيب، والثاني ذكر الحجج في المسائل، مع مراعاة الأصول، والثالث تَحَرِّي الإيجاز والاختصار فيما يؤلِّفه، وكان قد خُصّ بجميع ذلك، رحمة الله عليه ورضوانه، فعن الحسن بن محمد بن إسحاق الإسفراييني، يقول: سمعت العُمَرِيّ، يقول: سمعت الجاحظ يقول: نظرت في كتب هؤلاء النَّابِغَة فلم أر أحسن تأليفاً من المُطَّلبي، كان فوه ينظم دُرًّا إلى دُرّ)، مناقب الشافعي، (١/ ٢٦٠)، بتصرف يسير.

[1] - آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٤٦).

[2] - الحافظ الإمام المجود أبو عبد الله ابن وارة محمد بن مسلم بن عثمان بن عبد الله الرازي، أحد الأعلام، حدث عنه: النسائي، والذهلي، وارتحل إلى الآفاق، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٣/ ٢٨).

[3] - آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٤٥).



جملة البشر)[1]، وهذه مقولة موجزة، لكنها جليلة القدر، عظيمة الفائدة، فإن الحرص على التوريث الدعوي من خلال ضبط التصنيف ومراجعة التأليف؛ من أهم الآثار الدعوية لدعوة الإمام الشافعي رحمه الله التي أَثْرت في الداعية الاستفادة من خبرات العلماء السابقين؛ حيث قدم خلاصة تجاربه، وعصارة خبراته؛ حرصًا على استمرار الدعوة وبقائها، وسلامة منهجها، وحفظ ثوابتها، ووحدتها وتلاحم الأمة وترابط أبنائها.

---

١ – أبجد العلوم، الإمام أبو الطيب القِنَّوجي، (ص: ٥٢)، الناشر: دار ابن حزم، ط١: ١٤٢٣هـ، والأثر لأستاذ العلماء البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، إلى العماد الأصفهاني، معتذرًا عن كلام استدركه عليه.



المطلب الثاني: أثر منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي في المدعو:

كان لمنهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي أثر كبير في المدعوين من عامة الناس، وخاصتهم من تلاميذه وطلاب العلم، ويتضح ذلك بما يلي:

١- توجيه الجهود إلى الاشتغال بالعلم النافع عما لا يدرك كنهه:

سبق البيان أن الإمام الشافعي رحمه الله لم يلج بحر العقيدة على طريقة المتنطعين في علم الكلام، ولم ينتهج الرأي المذموم والقياس المنهى عنه، بل ثبت تحذيره من التكلف في هذا العلم؛ لما يترتب عليه من التنافر والتناحر والتراشق[١]، امتثالًا لقوله تعالى: ئز فج فح فخ فم قح قم كجئر[٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم : (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[٣]، والداعية الفقيه (من يوفق للعمل بهذه، فاللغو والخوض في الحديث لا وجود لهما في حياته)[٤]، لذا؛ دعا الإمام الشافعي رحمه الله إلى الاشتغال بالعلم النافع عما لا يدرك كنهه، وحذر من الالتفات إلى ما يفرق الأمة ويشتت شملها، فتأثر به جمعٌ من عامة الناس، وكثير من خاصة طلبة العلم الشرعي، وعلى رأسهم الإمام ابن

---

١ – ينظر مطلب: الجهود الفكرية للإمام الشافعي في الدعوة إلى وحدة الأمة من البحث.

٢ – سورة الإسراء، جزء من الآية رقم: (٣٦).

٣ – سنن الإمام ابن ماجه، أبواب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، (٥/ ١١٩) برقم: (٣٩٧٦)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط١: ١٤٣٠هـ، وقال عنه المحقق: حسن لغيره.

٤– وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه دراسة دعوية، أد/ يسري عبد الخالق خضر، (ص: ١٥، ١٦).



سريج[1] رحمه الله، الذي يعد أنجب تلاميذه من الفقهاء وأشدهم تأثرًا به، فدعا إلى عين ما دعا إليه شيخه ونبه عليه قائلًا: (قَلّ ما رأيت من المتفقهة مَن اشتغل بالكلام فأفلح، يفوته الفقه ولا يصل إلى معرفة الكلام)[2].

هذا، وقد كان الإمام الشافعي يوجه إلى تعلم العلم النافع، الذي يرفع قدر صاحبه ويهديه سواء الصراط[3]، وسُئل أن يضع في الإرجاء كتابًا؛ (فأبى، وكان

---

١ – شيخ الإسلام فقيه العراقين، أبو العباس، الإمام أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، القاضي الشافعي، صاحب المصنفات، كان متأثرً بالإمام الشافعي، حتى أصبح (حامل لواء الشافعية في زمانه، وناشر مذهب الشافعي، وأخذ عنه الفقه خلق من الأئمة، قال أبو علي بن خيران: سمعت أبا العباس بن سريج يقول: رأيت كأنا مطرنا كبريتًا أحمر فملأت أكمامي وحجري؛ فعبر لي أن أرزق علمًا عزيزًا كعزة الكبريت الأحمر، وقال العبادي في ترجمة ابن سريج شيخ الأصحاب، وسالك سبيل الإنصاف، وصاحب الأصول والفروع الحسان، وناقض قوانين المعترضين على الشافعي، ومعارض جوابات الخصوم، وقال الشيخ أبو إسحاق كان من عظماء الشافعيين وعلماء المسلمين، وكان يقول له الباز الأشهب، وولي قضاء شيراز، وكان يفضل على جميع أصحاب الشافعي، حتى على المزني، قال وسمعت شيخنا أبا الحسن الشيرجي الفرضي صاحب ابن اللبان يقول: إن فهرست كتب أبي العباس تشتمل على أربعمائة مصنف، وقام بنصرة هذا المذهب، ورد على المخالفين، وفرع على كتب محمد بن الحسن، وكان الشيخ أبو حامد يقول: نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون الدقائق)، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (١/ ٨٩)، وينظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٤/ ٢٠١).

٢ – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الإمام الذهبي، (٧/ ٩٩)، المحقق: د/ بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط١: ٢٠٠٣م.

٣ – قال الشافعي للربيع بن سليمان: (يا ربيع، رضى الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه، فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أن من تعلم القرآن؛ جل في عيون الناس، ومن تعلم الحديث؛ قويت حجته، ومن تعلم النحو؛ هيب، ومن تعلم العربية؛ رق طبعه، ومن تعلم الحساب؛ جل رأيه، ومن تعلم الفقه؛ نبل قدره، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/ ١٢٣)، ومناقب الشافعي للبيهقي، (١/ ٢٨٢).



ينهى عن الجدل، والكلام فيه، ويذم أهل البدع، ويأمر بالنظر في الفقه)[1]، وكان (مرارًا كثيرةً يقول: ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع)[2]، وما أجملها من عبارة موجزة، حوت الكثير من المعاني، وتضمنت العديد من التوجيهات الرشيدة، التي تنفع الأمة، وتجنبها ويلات الفرقة والاختلاف والتنازع الذي لا طائل من ورائه إلا الضعف والهوان؛ فعمد تلاميذ الإمام الشافعي أيضًا إلى الاهتمام بالأصول التي قررها، من حفظ الكتاب والسنة، وحجية الحديث النبوي، ومن المعلوم أن (مسند الإمام الشافعيّ لا تخفى أهميته، وشرحه هذا يضاعف تلك الأهمية، حيث إن مؤلفه الإمام الرافعي من كبار أئمة الشافعية، ومتفق على عظيم منزلته واعتماد آرائه في المذهب الشافعي، مع اعتنائه بعلوم الحديث رواية ودراية كما يظهر هذا من خلال كتابه هذا وغيره)[3]، وهذا غيض من فيض في بيان تأثر المدعوين وطلاب العلم بدعوة الإمام الشافعي رحمه الله إلى توجيه الجهود للانشغال بالعلم النافع عما لا يدرك كنهه؛ بغية توحيد صف الأمة وجمع شملها.

٢- إجلال الإمام الشافعي، وحفظ تراثه وتلقي الأمة له بالقبول:

مما ينبغي التأكيد عليه أن الإمام الشافعي رحمه الله انفرد بعبارات لم تخرج إلا منه، ولم يسبق إليها، منها: (لوددت أن الخلق تعلمه، ولم ينسب إلي منه شيء أبدًا، ... وددت أن كل علم أعلمه تعلمه الناس أوجر عليه، ولا يحمدوني)[4]، فقد كان حريصًا أشد الحرص على التجرد لله تعالى، والإخلاص

---

١ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/ ١١٥).

٢ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/ ١٢٣).

٣ – شرح مسند الإمام الشافعي، الإمام الرافعي القزويني، (١/ ٧)، المحقق: د/ أبو بكر زهران، تقديم: أد/ أحمد معبد عبد الكريم، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١: ١٤٢٨هـ.

٤ – آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٦٨).

له سبحانه، فلم يسع إلى سمعة، ولم يطمع في شهرة، لذا؛ كتب الله له القبول في الأرض، وأجرى له المحبة في قلوب الخلق، وقيّد له من يحفظ تراثه بالشرح والنظر والتدقيق واستخراج اللآلئ منه[1]، وقد رأى الإمام الشافعي المبشرات بقبوله وانتشار مذهبه[2]، ففاضلوا وقايسوا بين تراثه وبين أئمة المذاهب وعلماء الإسلام، فأقروا أنه (أكثر الأئمة إتباعًا، وأقواهم احتجاجًا، وأصحهم قياسًا، وأبينهم بيانًا، وأفصحهم لسانًا، وأوضحهم إرشادًا، فيما صنف من كتب في الأصول والفروع جميعا)[3]، وقد أفاض الإمام البيهقي رحمه الله في ذلك، حتى قال إمام الحرمين: (ما من شافعيّ، إلا للشافعيّ عليه منّة إلّا البيهقيّ، فإنّ له على الشافعيّ منّة، لتصانيفه في نصرة مذهبه)[4].

---

١ – قال الحافظ ابن حجر: (فقد قصدت في هذا التأليف إيراد شيء من مناقب الإمام المطلبي، ناصر الحديث النبوي، أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، رضي الله عنه، وقد سبق إلى هذا التأليف في ذلك من يتعسر استيعابهم بالذكر، أو يطمع في اللحاق بهم المتأخر ولو وسع المجال وضيق الفكر)، ثم عدّد الكتب في مناقب الشافعي وسيرته وأيامه، فذكر العشرات إلى عصره فقط، ينظر: توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس للحافظ ابن حجر، (ص: ١٩).

٢ – قال الشافعي: (كنت في الحبس ببغداد، فرأيت في المنام كأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، دخل عليّ فقعد عندي ونزع خاتمه من يده وجعله في يدي، فبعثت إلى محمد بن الحسن: إني قد رأيت منامًا، فابعث إلى معبرًا أعبرها عليه، فبعث إلي بجعد المعبر؛ فدخل على الحبس، فقال: ما الذي رأيت؟، فقلت له: ... ؛ فقال لي: "إن صدقت رؤياك؛ لم يبق موضع في الشرق ولا في الغرب يذكر فيه إلا ذكرت فيه، وعُمل بقولك، أو لئن صدقت رؤياك لا تبقى كُوْرَةٌ من الكُور ولا مدينة من المدن إلا علا فيها ذكرك واسمك)، مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ١٤٨ – ١٤٩)، باختصار.

٣ – مناقب الشافعي للبيهقي، (المقدمة / ص: ٧)

٤ – مناقب الإمام الشافعي لابن قاضي شهبة، (ص: ٤٢٩).

كما تصدى العديد من أبناء الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا لسرد محاسن الإمام الشافعي، والشهادة له والاعتراف بفضله والذب عنه، بل أجمعوا على أنه مجدد القرن الثاني بلا خلاف، فعن حسّان بن محمد[1] قال: (كنّا في مجلس ابن سريج سنة ثلاث وثلاثمائة، فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال: أبشر أيها القاضي، فإن الله يبعث عَلَى رَأْسِ كُلِّ مَائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ، يعني للأمة، أمر دينها، والله تعالى بعث على رأس المائة عُمَر بن عبد العزيز، وعلى رأس المائتين أبا عبد الله الشافعي، ... ثم أنشأ يقول:

(اثْنَان قد مضيا فبورك فيهمَا ... عمر الْخَلِيفَة ثمَّ حلف السؤدد
الشَّـــافِعِي الألمعي مُحَمَّد ... إِرْث النُّبــوَّة وَابْن عَم مُحَمَّد)[2].

وفي بيان فضله على سائر أهل العلم، قال الإمام أحمد رحمه الله: (ما أحدٌ مسّ محبرةً ولا قلمًا، إلا وللشافعي في عنقه منّة)[3]، ومما أُنْشِد في هذا:

الشـــافعي إمـــــام كل أئمة ... تُرْبِي فضائلهُ على الآلاف
خَتْمُ النبوة والإمامة في الهدى ... بمحمدين هما لعبد مناف)[4].

---

[1] – الحافظ، المفتي، شيخ خراسان، أبو الوليد حسان بن محمد بن أحمد بن هارون النيسابوري، الشافعي، العابد، حدث عنه: الحاكم، وابن مندة، وتفقه على يد ابن سريج، وتوفى عام: ٣٤٩، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٥/ ٤٩٢).

[2] – تاريخ الإسلام، الإمام الذهبي، قلت: ثم نظم الإمام السبكي أبياتًا أضيفت إلى هذا المعنى والأبيات السابقة، فقال رحمه الله تعالى: (فَانْظُر لسر اللَّه إِن الكل من ... أَصْحَابنَا فَافْهَم وأنصف ترشد .. هَذَا عَلَى أَن الْمُصِيب إمامنا ... أجلى دَلِيل وَاضـــح للمهتـــد .. يَا أَيهَا الرجل المريد نجــــــاته ... دع ذَا التعصـــب والمراء وقلد .. هَذَا ابْن عَم الْمُصْطَفى وسميه ... والعــــالم الْمَبعوث خير مُجَدد .. وضح الْهدى بِكَلَامِهِ وبهديه ... يَا أَيهَا الْمِسْــكِين لم لَا تهتدي)، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، الإمام السبكي، (١/ ٢٠١).

[3] – مناقب الإمام الشافعي لابن قاضي شهبة، (ص: ٣١).

[4] – طبقات الشافعية الكبرى، الإمام السبكي، (١/ ١٩٧)، والأبيات لابن المقري رحمه الله.



كما شهد له المعتبرون من أهل العلم[1]، وقد تلقت الأمة مذهب الإمام الشافعي بالقبول، ويرجع السبب في ذلك إلى أمور عدة، منها:

أ- لما فيه من التأصيل المنضبط والنهج القويم دون إفراط، والسماحة والتيسير دون تفريط، (وكان للشافعي أتباع ومريدون درسوا عليه، ونهجوا منهجه وتشبعوا بطريقة بحثه واستنباطه، وعملوا على نشر مذهبه)[2]، في سائر البلدان.

---

[1] - قال الإمام أبو نعيم عبد الملك بن محمد الفقيه في بيان فضل الإمام الشافعي: (رجلٌ من علماء هذه الأمة من قريش، قد ظهر علمه وانتشر في البلاد، وكتبت كتبه ودرسها المشايخ والشبان الأحداث في مجالسهم، وصيروها إمامًا لهم، واستظهروا أقاويله وأجروها في مجالس الأمراء والحكام، وحكموا بها في الدماء والفروج، ... صنف الكتب وشرح الأصول والفروع ووعت القلوب كلامه، وازداد على مرور الأيام حسنًا وبيانًا"، وأنا أقول -السبكي-: "وهو عالم قريش قولًا واحدًا، وهذا الإمام المطلبي، أخرجه الله من صميم العرب، حيث ترتفع بيوتها فوق السماء، ومن بني مضر، حيث هي جارة ذيل الفخار والعلا، ثم من إكرام الله تعالى إياه وموهبته له لا بمسعاه؛ أنه لم يخلق بعد عصر الصحابة في قريش مثله، ولا أقام منهم مدعيًا لإمامة العلم والدين يسمع له الناس على مر السنين، ولا موسومًا بهاذين الأمرين مع شهادة الخلق وشهرة الاسم عند الخاص والعام سواه، فنقول ولا نزكي على الله أحدًا، ولا نقطع على الله أبدًا، لعل الله تعالى إنما أراد ذلك؛ ليتوضح أمر إمامته، ويتبين للخاص والعام، ولا يخالط الشك شيئا من الأفهام)، طبقات الشافعية الكبرى، (١/ ١٩٧)، بتصرف يسير.

[2] - التهذيب في فقه الإمام الشافعي، الإمام البغوي، (١/ ٤٦)، مقدمة التحقيق، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١٨هـ، ثم ذكر الإمام البغوي جملة من تلاميذ الإمام الشافعي فقال: (ومن أشهر تلاميذه في مصر يوسف بن يحيى البويطي الذي خلف إمامه في رياسة دروسه، وإسماعيل بن يحيى المزني، وقد كان أقدر أصحاب الشافعي على المناظرة، وأكثر من دون في المذهب، والربيع المرادي، ومن الملاحظ أن تلاميذ الشافعي كانوا يتبعون إمامهم فلا يخالفونه في آرائه، اللهم إلا المزني، وفي حالات نادرة، بخلاف ما لاحظناه قبل بالنسبة لتلاميذ المذهبين السابقين، وخصوصاً تلاميذ أبي حنيفة الذي كان من طبيعة مذهبهم الاتساع في الأخذ بالرأي).



ب- لأن أصول المذهب الشافعي: تتمثل في أن (القرآن يعمل بظاهره ما لم يقم الدليل على وجوب صرفه إلى ما يخالف الظاهر، ثم السُّنة المتواترة فالمشهورة، حتى خبر الواحد الثقة، ولو لم يكن مشهورًا كما اشترط الأحناف، ولا موافقًا لعمل أهل المدينة كما يقول مالك، ثم الإجماع، ثم القياس بشرط أن يكون له أصل من الكتاب والسنة، وهو لم يتوسع في القياس كما توسع الأحناف، بل روى أنه ذهب إلى بطلان الأخذ بالاستحسان[1]، ... ولم يعمل بالقياس إلا إذا كانت علته منضبطة، وأنكر الاحتجاج بعمل أهل المدينة، ولم يأخذ بقول الصحابي -إلا بشروط-، ورد المصالح المرسلة، ولم يأخذ بالحديث المرسل إلا إذا كان لسعيد بن المسيب، وكان متفقاً على صحته، مع أن مالكاً والأحناف أنفسهم يأخذون

---

١ - ينظر: الأم للإمام الشافعي، (٧/ ٣١٣)، باب إبطال الاستحسان، والاستحسان هو: (عدول المجتهد عن مقتضى قياس جلي إلى قياس خفي أو عن حكم كلي إلى حكم استثنائي لدليل انقدح في عقله رجح لديه هذا العدول، والاستحسان نوعان الأول: ترجيح قياس خفي على قياس جلي بدليل، والثاني: استثناء جزئية من حكم كلي بدليل، ولم يأخذ الشافعي، كما هو المعروف عنه بالاستِحْسَان، بل نَقِمَ عليه وعلى من يقُولُ به، حتى قال : "من استحسن فقد شَرَّع"، غير أن الشافعي بني بعض المَسَائل الفقهيَّة على الاستحسان ، منها قوله: استحسن أن تكون المتعة في حق العقيم ثلاثين درهماً، وقوله: أستحسن أن يؤجَّل الشفيع ثلاثاً ... وفي السارق قال: إذا أخرج يده اليُسرى بدل اليُمْنَى فقطعت، القياس أن تقطع يمناه، والاستِحْسَان ألاَّ تقطع ... وبناء على ذلك فإن الاستحسان الذي حمل عليه الشَّافعي وأنكره هو ما يستحسنه النَّاس ويشتهونه بغير دليل، وهذا ما لم يقل به أحد من المجتهدين)، ينظر: فقه النكت في المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ٣٩٣ - ٤٧٦هـ، دراسةً و تحقيقًا، [من أول مسائل التطوع إلى نهاية مسائل الاعتكاف]، (١/ ٦٣)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفقه الإسلامي، إعداد الباحثة/ إيمان بنت سعد الطويرقي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا الشرعية، عام: ١٤٢٥هـ.

بها، وتعقب أبا حنيفة ومالكاً في عدم أخذ الأول بخبر الواحد، واشتراط الثاني للأخذ به أن يكون موافقاً لعمل أهل المدينة، وقد بيَّن الشافعي أصول مذهبه في كتاب "الأم"، فيقول: "الأصل قرآن وسنة، فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح الإسناد به فهو المنتهى، والإجماع أكبر من الخبر المفرد، والحديث على ظاهره، وإذا احتمل المعاني فما أشبه منها ظاهره أولاها به، وإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسنادًا أولاها، وليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع ابن المسيب، ولا يقاس أصل على أصل[1])[2].

جـ- حرص الإمام الشافعي على مصلحة الأمة، وطلبه لحقوقها من ولاتها[3].

٣- <u>ترابط عُرى الأخوة والمحبة بين الإمام الشافعي وبين أبناء الأمة الإسلامية:</u>

منذ الوهلة الأولى غرست أم الإمام الشافعي رحمها الله في نفسه الرسالة

---

[1] - ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/ ١٠٥).

[2] - التهذيب في فقه الإمام الشافعي، (١/ ٤٥)، مقدمة التحقيق.

[3] - قال هارون الرشيد للشافعي: (فذاك يا ابن إدريس، فقد سللت علينا لسانك وهو أمضى من سيفك، قال: هو لك يا أمير المؤمنين، إن قبلت، ولا عليك، قال: فكيف السبيل إلى الخلاص من ذلك؟، قال: أن تتفقد حرم الله، تعالى، وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم بالعمارة، وتؤمن السبل، وتنظر في أمر الأمة، قال: وكيف ذاك؟ قال: أن تعطى أولاد المهاجرين والأنصار حقهم من الفيء؛ لئلا تزعجهم الحاجة عن أوطانهم، وتنظر في أمر العامة والثغور، وتبذل العدل والنصفة، وأن لا تجعل دونها سترًا، وتتخذ أهل العلم والورع شعارًا، وتشاورهم فيما ينوب، وتعصى أهل الريب ومن يزين لك قطع ما أمر الله به أن يوصل، قال عمارة: فنظرت الى محمد بن الحسن وقد تغير لونه، قال هارون: ومن يطيق ذلك؟، قال: من تسمى باسمك، وقعد مثل مقعدك، قال هارون: فهل من حاجة خاصة بعد العامة فتقضى، أو مسألة فتمضي؟، قال الشافعي: أتأمرني بعد بذل مكنون النصيحة، وتقديم الموعظة، أن أسود وجهي بالمسألة وأذلّ للحاجة؟!، فأطرق هارون)، مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ١٣٧).



العظمى التي أعدته لها وتحملت في سبيلها وصبرت لأجلها، ألا وهي جمع المسلمين؛ فنشأ على هذه الرسالة وشبّ عليها، وعاش لأجلها ومات في سبيلها؛ حتى فتح اَلله به الأفهام، وأحيا به الشريعة، وجدد به الدين، وجمع به القوب، وقرّب به الأبدان، وكتب الله له القبول والإجلال في نفوس محبي الحق من المسلمين في كل زمان ومكان، قال أبو عمر الصدفي: (رأيت أهل مصر لا يعدلون به أحدًا، ويصفونه بالعلم والفضل والتواضع)[1]، كما كان رحمه الله (حسن الخلق، مُحَبَّباً إلى من كان بمصر في وقت الشافعي من الفقهاء والأمراء والنّبلاء، كلّهم يجيء إلى الشافعي ويعظّمه ويجلّه)[2]، قال إسحاق بن راهويه: (لقيت الشافعي في المسجد الحرام قاعدًا على طنفسة، وكانت لا تلقى الطنفسة في المسجد الحرام إلا لرجل جليل)[3].

ومن أجل تحقيق هذه الرسالة السامية؛ تخلق الإمام الشافعي الخلق الكريم، وتلطف الناس، والتزم الأدب الوافر، في الخلاف وغيره: فقد (كان لمن فوقه من المعلمين خاضعًا ولمن يستعلم منه أو يعلمه متواضعًا)[4]، وقد نصح تلميذه يونس الصدفي[5] يومًا نصيحة جليلة تدل على كمال عقله ورجاحة فكره وجميل

---

[1] – طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، (٢/ ٦٨).

[2] – مناقب الشافعي للبيهقي، (٢/ ٢٨٦).

[3] – مناقب الشافعي للبيهقي، (٢/ ٢٨٥).

[4] – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/ ١١٧).

[5] – أبو موسى الصدفي يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدفي الإمام، شيخ الإسلام، المصري المقرئ الحافظ، كان كبير المعدلين والعلماء في زمانه بمصر، وتوفي عام: ٢٦٤هـ، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٢/ ٣٤٨).



منطقه[1]، حتى قال: (ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة، "، قلت: – الذهبي: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون)[2]، كما شهد له أبو يعقوب البويطي[3] فقال: (رأيت الناس بمصر، والشام والعراق، والكوفة والبصرة، والحجاز والمدينة، ومكة، من كل صنف، ممن له معرفة بالعلم والفقه، ولسان العرب، والسنن وأيام العرب، والعلم بالكلام، وكل صنف، والله ما رأيت أحدا يشبه الشافعي، ولا يقاربه

---

١ – قال: (يا يونس إذا بلغت عن صديق لك ما تكرهه؛ فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية؛ فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن القه، وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، وأجدر أن تسمي المبلغ، فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق وأبر، ولا تزيدن على ذلك شيئا، وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهًا بعذر؛ فاقبل منه، وإن لم يرد ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟، فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبله، وإن لم يذكر لذلك وجهًا لعذر، وضاق عليك المسلك؛ فحينئذ أثبتها عليه سيئة أتاها، ثم أنت في ذلك بالخيار، إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أبلغ للتقوى، وأبلغ في الكرم؛ لقول الله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} –سورة الشورى، جزء من الآية رقم: (٤٠)–، فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك، ولا تبخس باقي إحسانه السالف بهذه السيئة فإن ذلك الظلم بعينه، وقد كان الرجل الصالح يقول: "رحم الله من كافأني على إساءتي من غير أن يزيد ولا يبخس حقًا لي"، يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به؛ فإن اتخاذ الصديق صعب، ومفارقته سهل، وقد كان الرجل الصالح يشبه سهولة مفارقة الصديق بصبي يطرح في البئر حجرًا عظيمًا فيسهل طرحه عليه، ويصعب إخراجه على الرجال البرك فهذه وصيتي لك، والسلام ")، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/ ١٢١).

٢ – سير أعلام النبلاء ط الرسالة، (١٠/ ١٧).

٣ – الإمام العلامة سيد الفقهاء، يوسف أبو يعقوب بن يحيى المصري البويطي، صاحب الإمام الشافعي، لازمه مدة، وتخرج به، وفاق الأقران، حتى قال عنه: ليس في أصحابي أحد أعلم منه، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٢/ ٥٨).

في صنف من العلم، والله إن الشافعي أورع عندي، وأشدّ توقيا، من كل من رأيته ينسب إلى الورع، فقد رأيت من الصالحين عندنا، بمصر والحجاز، وسائر البلدان خلقًا كثيرًا)[1].

لذا؛ تسابق العلماء رغم اختلاف مذاهبهم وتعدد أمصارهم على بيان فضل الإمام الشافعي، والاعتراف له بحقه، والدفاع عنه، قيل للإمام أحمد: (إن يحيى بن معين وأبا عبيد لا يرضيان الشافعي وينسبانه إلى التشيع، فقال: "والله ما رأينا معه إلا خيرًا، ولا سمعنا إلا خيرًا، واعلموا أن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئا من العلم وحُرِمَه قرناؤه وأشكاله- حسدوه فرموه بما ليس فيه، وبئست الخصلة في أهل العلم، ودخل رجلٌ على أبي زُرْعَة فقال له قولة الإمام أحمد: "ما أعلم أحداَ أعظم مِنَّة على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي"؛ فقال أبو زرعة: "صدَقَ أحمد بن حنبل، ما أعلم أحدًا أعظم مِنَّةً على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي، ولا أحد ذَبَّ عن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل ما ذبّ الشافعي، ولا أحد كشف عن سَوْءَاتِ القوم مثل ما كشفه)[2].

ولعل السبب الذي دفع الإمام الشافعي إلى تأليف علم أصول الفقه (أن الأوائل كان يجتمع عند كل واحد منهم أحاديث بلده وآثاره، ولا يجتمع أحاديث البلاد، فاذا تعارضت عليه الأدلة في أحاديث بلده؛ حكم في ذلك التعارض بنوع من الفراسة، بحسب ما تيسر له، ثم اجتمع في عصر الشافعي أحاديث البلاد جميعها؛ فوقع التعارض في أحاديث البلاد ومختارات فقهائها مرتين، مرة فيما بين أحاديث بلد وأحاديث بلد آخر، ومرة في أحاديث بلد واحد فيما بينها، وانقصر كل رجل بشيخه فيما رأى من الفراسة؛ فاتسع الخرق وكثر الشغب، وهجم على كل جانب

---

[1] – مناقب الإمام الشافعي للإمام ابن قاضي شهبة، (ص: ٧٠).

[2] – مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (٢/٢٥٩- ٢٧٩)، باختصار.

من الاختلافات ما لم يكن بحساب؛ فبقوا متحيرين مدهوشين لا يستطيعون سبيلًا، حتى جاءهم تأييد من ربهم؛ فألهم الشافعي قواعد جمع هذه المختلفات وفتح لمن بعده بابًا وأي باب)[1]، بهذا، جمع الأمة على الكتاب والسنة، فجمع الله قلوب الأمة على حبه وإجلاله وامتثال الناس لدعوته، التي قامت على مقاصد الإسلام العظمى.

---

[1] – الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، الإمام الدهلوي (ص: ٨٣)، تحقيق: د/ عبد الفتاح أبو غدة، طبعة: دار النفائس بيروت، ط٢: ١٤٠٤هـ.

المطلب الثالث: أثر منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند الإمام الشافعي في موضوع الدعوة:

لم يقتصر الأثر الدعوي لمنهجية الإمام الشافعي رحمه الله في الدعوة إلى وحدة الأمة على الداعية والمدعو فقط، بل تعداهما إلى التأثير في موضوع الدعوة، حيث برزت عنده معالم التجديد، وفرائد العلم والتصنيف، فردّ الله تعالى الناس على يديه إلى راية الأمة مرة أخرى، وصدق فيه قول القائل، حين سئل ما تقول فيه، فأجاب: (ما أقول في رجل ابتدأ في أفواه الناس الكتاب والسنة والاتفاق، وما كنا ندري ما الكتاب ولا السنة نحن والأولون حتى سمعنا من الشافعي الكتاب والسنة والإجماع، قلت: – الإمام البيهقي– ولهذا قال: لا يقال للأصل: لم وكيف)[1]، ويمكن بيان أثر منهجية الدعوة إلى وحدة الأمة عند فكر الإمام الشافعي في موضوعات الدعوة، من خلال ما يلي:

١- <u>تجديد علوم الدين:</u>

إن تجديد علوم الدين وبيان أصولها وتجليتها ورد المسلمين إليها؛ مهمة اختص الله بها أئمة الهدى وصفوة الأمة، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مِئة سنةٍ من يُجَدِّدُ لها دينَها)[2]، والمعنى: أن الله تعالى (يقيض لها على رأس كل مئة سنة من الهجرة أو غيرها، والمراد الرأس تقريبا، رجلًا أو أكثر يجدد لهذه الأمة دينها، فيبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم، قالوا: ولا يكون إلا عالمًا بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، قال ابن كثير: قد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر أنه يعم جملة من العلماء من كل طائفة وكل صنف

---

[1] – مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١/ ٣٦٨).

[2] – سنن أبي داود، أول كتاب الملاحم، باب ما يُذكَرُ في قَرْنِ المِئَة، (٦/ ٣٤٩)، برقم: (٤٢٩١)، وقال عنه الشيخ الأرنؤوط: إسناده صحيح.



من مفسر ومحدث وفقيه ونحوي ولغوي وغيرهم، ومر تعيين المبعوث على كل قرن، وصرح به في قصيدة بقوله: "لقد أتى في خبر مشتهر رواه كل عالم معتبر .. بأنه في رأس كل مئة .. يبعث ربنا لهذى الأمة .. منا عليها عالمًا يجدد .. دين الهدى لأنه مجتهد .. فكان عند المئة الأولى عمر .. خليفة العدل بإجماع وقر .. والشافعي كان عند الثانية .. لما له من العلوم السامية")[1]، وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون"[2]، وفي الحديث (إشارة نبوية إلى أن اللّه سيبعث لهذه الأمة كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها)[3].

ولا خلاف بين أهل العلم أن الإمام الشافعي (معلمة بارزة من معالم ثقافتنا الإسلامية، وإذا جاز لنا أن نباهي الثقافات والأمم الأخرى بعالم نعتز به، هو نتاج خالص لديننا وحضارتنا، وهو نبت أصيل للفكر الإسلامي وللعبقرية الإسلامية في الفقه والتشريع، وفي وضوح الفكرة وسمو التعبير عنها؛ فليس ثَم إلا الإمام الشافعي، فأقام إلى أن مات، يعلم الناس السنة وفقه السنة والكتاب، ويناظر مخالفيه ويحاجهم، وأكثرهم من أتباع شيخه مالك بن أنس، وكانوا متعصبين لمذهبه، فبهرهم الشافعي بعلمه وهديه وعقله، رأوا رجلًا لم تر الأعين

---

[1] – فيض القدير شرح الجامع الصغير، الإمام المناوي، (٢/٢٨١)، طبعة المكتبة التجارية – مصر، ط١: ١٣٥٦هـ.

[2] – صحيح الإمام البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم، (جـ ٩/ ص: ١٠١)، برقم: (٧٣١١)، وصحيح الإمام مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، (٣/ ١٥٢٣).

[3] – النهاية في الفتن والملاحم، الإمام ابن كثير، (١/١٧)، تحقيق: عبده الشافعي، طبعة: دار الكتب العلمية– بيروت، ط١: ١٤٠٨هـ.



مثله، فلزموا مجلسه، يفيدون منه علم الكتاب، وعلم الحديث، ويأخذون عنه اللغة والأنساب والشعر ، ويفيدهم في بعض وقته في الطب، ثم يتعلمون منه أدب الجدل والمناظرة، ويؤلف الكتب بخطه، فيقرؤون عليه ما ينسخونه منها، أو يملي عليهم بعضها إملاءً، فرجع أكثرهم عما كانوا يتعصبون له، وتعلموا منه الاجتهاد ونبذ التقليد، فملأ الشافعي طباق الأرض علمًا)[1]، فضلًا عن تأليفه رحمه الله لعلم الحديث وأصول الفقه.

ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم ما مات حتى بلّغ الرسالة، وما قبض إلا بعد كمال الدين وتمام النعمة، والمتأمل في نتاج المذاهب الفقهية الإسلامية بعده صلى الله عليه وسلم يجد أن الاتفاق بينها هو الأصل خاصة في الأصول، بخلاف الفروع، فالخلاف فيها يرجع (لاعتبارات أخرى معظمها يرجع إلى طريقة الاجتهاد، واختلاف أنظارهم في الدليل الواحد، وإلى أن بعض الأحاديث قد تكون في مصر ولا تكون في مصر آخر، وذلك لأن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كان معهم من الأحاديث ما ليس عند الآخرين، ثم إننا نعتبر العصر الأول عصر الاكتمال الديني والتشريعي، ومهما اختلف العلماء في الفروع فمرجعهم في الأحكام إلى الكتاب الكريم، والسنة النبوية، أو القياس عليهما، أو الإجماع، ... بدليل قوله تعالى في حجة الوداع (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**)[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم : "تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه

---

[1] – مجلة البيان، فصل: التجديد في الإسلام، مجموعة من المؤلفين، (١٠/٤)، تصدر عن المنتدى الإسلامي، جمادى الآخرة – ١٤٠٧هـ، باختصار.

[2] – سورة المائدة، جزء من الآية رقم: (٣).



وسلم ....."[1]، وإلا؛ اجتهدوا في معرفة الحكم في حدود القواعد الأصولية المستنبطة من القرآن والسُنَّةِ، والاجتهاد في الإسلام باق إلى يوم القيامة، ولكن له شروط لا بد من توافرها فيمن يجتهد حتى يكون أهلا للاجتهاد، ومن لوازم كون الإسلام دينًا عامًا للناس جميعًا وباقيًا خالدًا إلى يوم القيامة أن يكون باب الاجتهاد مفتوحًا، باقيًا إلى يوم القيامة حتى يكون فيه كفاء حاجات البشر في دينهم ودنياهم، وصدق من قال: "تَحْدُثُ لِلْنَّاسِ أَقْضِيَةٌ بِقَدْرِ مَا أَحْدَثُوا مِنَ الفُجُور"[2]، فالفقه مبناه على التشريع الإلهي من كتاب وسنة وإجماع وقياس، ولكن فيه جهود كبيرة للفقهاء على توالي العصور في الفهم، والترجيح، واستنباط الأحكام والآداب، وإذا رجعت إلى أي كتاب من كتب الفقه على كثرتها، وتعدد مذاهب أصحابها في الاجتهاد والاستنباط؛ تجدها ممتلئة بالآيات القرآنية، والأحاديث والسنن النبوية)[3].

هذا، وقد ترك الإمام الشافعي في التشريع الإسلامي أثرًا عظيمًا، وأضاف إلى العلم الشرعي إضافة هائلة؛ (فاعتبر بحق مجدد المائة الثانية وخير ما يمثل

---

[1]–سبق تخريجه في مطلب: الجهود العملية للإمام الشافعي في الدعوة إلى وحدة الأمة من البحث.

[2] – هذا قول مأثور عن الإمام مالك، نصه: (يُحْدِثُ النَّاسُ فُجُورًا فَتَحْدُثُ لَهُمْ أَقْضِيَةٌ)، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، (١٨١/١٦)، تحقيق هشام سمير البخاري، الناشر: عالم الكتب، بيروت – لبنان: ١٤٢٣هـ، وينظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، (٧١/٤)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١: ١٤٢٤هـ، وينسب هذا الأثر أيضًا إلى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ينظر: الفروق، للإمام القرافي، (١٧٩/٤)، نشر عالم الكتب، بيروت – لبنان، بدون تاريخ، قلت: "قد استفدت من المصدر في تخريج هذا الأثر".

[3] – دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين، د/ محمد أبو شُهبة، (ص: ٢٩٢– ٣٠٠)، الناشر: مكتبة السنة، ط١: ١٩٨٩م، باختصار وتصرف يسير.



الأساس الذي بنى عليه الشافعيّ فقهه هو رسالته الأصولية، التي تعتبر أول مؤلف في أصول الفقه، واعتبر الإمام الشافعي بسببها؛ الواضع الأول لهذا العلم، قال تلميذه المزني في الرسالة: "قرأت الرسالة خمسمائة مرة، ما من مرة إلا واستفدت منها فائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى، وأنا أنظر في كتاب الرسالة عن الشافعي منذ خمسين سنة، ما أعلم أني نظرت فيه من مرة إلا وأنا أستفيد شيئا لم أكن عرفته"[١])[٢].

وقد أجمع أهل العلم على أن الإمام الشافعي رحمه الله مجدد القرن الثاني الهجري، قالوا: (كان في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وفي المائة الثانية محمد بن إدريس الشافعي)[٣]، وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول: (إذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خبرًا، قلت فيها بقول الشافعي؛ لأنه إمام عالم من قريش، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عالم قريش يملأ الأرض علمًا"[٤]، وذكر في الخبر: "إن الله يقيض في رأس كل مائة من يعلم الناس

---

[١] – مناقب الشافعي، للبيهقي، (١/ ٢٣٦).

[٢] – مجلة البيان، فصل: التجديد في الإسلام، (١٠/٤)، بتصرف توثيق النصوص وضبطها.

[٣] – توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس للحافظ ابن حجر، (ص: ١٠٥).

[٤] – هذا الحديث أخرجه الإمام أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/ ٦٥)، والإمام ابن حجر بلفظ: "اللهم اهد قريشا فإن علم العالم منهم يسع طبقات الأرض، اللهم أذقت أولها نكالا فأذق آخرها نوالًا"، ثم قال عنه: "وهذا رجاله رجال الصحيح إلا إسماعيل ففيه مقال، وقد أخرج أحمد بعضه بسند جيد من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس"، وذكر قول الإمام البيهقي: "إذا ضمت طرق هذا الحديث بعضها إلى بعض أفاد قوة، وعرف أن للحديث أصلًا"، ثم قال: "وهو كما قال لتعدد مخارجها وشهرتها في كتب من ذكرنا من المصنفين، ويدل على اشتهاره في القدماء ما أخرجه البيهقي من طريق أحمد بن عبد الرحمن سمعت الربيع بن سليمان يقول: ناظر الشافعي محمد بن الحسن، فبلغ الرشيد فقال: أما علم محمد أن



دينهم"، قال أحمد: فكان في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وفي المائة الثانية الشافعي، ومن طريق آخر قال أحمد بن حنبل: "إن الله يقيض للناس في كل مائة من يعلم الناس السنن وينفي عن النبي صلى الله عليه وسلم الكذب")[١]، وذلك لأن الإمام الشافعي (مؤسس الفقه الشافعي وناصر السنة النبوية الشريفة، الفقيه المجدد المجتهد في الإسلام بشهادة الأعلام والعلماء الذين عاصروه، والذين جاؤوا بعدهم، بأنه لا نظير له في الاستنباط والقياس، واللغة ومراعاة النصوص، وتميز الإمام الشافعي عن أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى بالاجتهاد والتجديد في الدين، فكان في نظر الجميع أقواهم حجة واحتجاجًا وأكثرهم أتباعًا، وأفصحهم لسانًا وأصحهم قياسًا، وأوضحهم إرشادا في كل ما كتبه في الأصول والفروع، وكان الشافعي أديبًا شاعرًا يحفظ شعر هذيل وغيرها، وينظم الشعر في أغراض شتى)[٢]، ومما يؤكد هذا المعنى أنه ما من عالم (من علماء قريش من الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم، وإن كان علمه قد ظهر وانتشر، لكنه لم يبلغ من الشهرة والكثرة والانتشار في جميع أقطار الأرض مع تباعدها، ما وصل إليه علم الشافعي، حتى غلب على الظن أنه المراد بالحديث المذكور لوجود الإشارة إليه فيه، وقد سبق إلى تنزيل هذا الحديث إلى علم الشافعي الإمام أحمد بن حنبل)[٣].

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن الإمام الشافعي رحمه الله كان له دور هائل في حماية وحدة الأمة وصيانة لحمتها، عن طريق تجديد علوم الإسلام

النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قدموا قريشا، فإن علم العالم منهم يسع طباق الأرض"، ينظر: توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس للحافظ ابن حجر، (ص: ١٠٢).

١ – توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس للحافظ ابن حجر، (ص: ١٠٤)، بتصرف يسير.

٢ – مناقب الإمام الشافعي للإمام ابن قاضي شهبة، (ص: ٦).

٣ – توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس للحافظ ابن حجر، (ص: ١٠٢).



وبيان الأصول القائمة عليها، وتجلية مصادر التشريع للأمة الإسلامية، فبين الله تعالى به السنة من البدعة، وأكثر به العلم ونشره، ونصر به حملته وأهله.

٢- ضبط طرائق الاستنباط، وتقعيد طرق الاستدلال:

سبق البيان أن الإمام (الشافعي هو الذي وضع أصول الفقه، علمًا ذا قواعد عامة يرجع إليها كل مستنبط لحكم شرعي، وقد لا يكون بعيدًا عن غرض الشافعي في وضع أصول الفقه، أن يقرب الشقة بين أهل الرأي وأهل الحديث ويمهد للوحدة التي دعا إليها الإسلام)[١]، قال الإمام البيهقي: (والشافعي رحمه الله أول من صنف في أصول الفقه، وقد نقلت إلى أول كتاب المبسوط، وكتاب المعرفة ثم إلى كتاب المدخل إلى السنن؛ ما يستدل به على معرفته بذلك، وإيراد جميعه ها هنا مما يطول به الكتاب، فاقتصرت على إيراد شيء منه يسير)[٢].

وإن المتتبع لتاريخ المذاهب الفقهية يتبين له أنها لم تكن مهتمة بالعقل العلمي المتكامل، فقد (كان اتجاه المذاهب الفقهية قبل الشافعي إلى جمع المسائل وترتيبها وردها إلى أدلتها التفصيلية، عندما تكون دلائلها نصوصًا، وأهل الحديث لكثرة اعتمادهم على النص كانوا اكثر تعرضًا لذكر الدلائل من أهل الرأي؛ فلما جاء الشافعي بمذهبه الجديد، كان قد درس المذهبين ولاحظ ما فيهما من نقص بدا له أن يكمله، وأخذ ينقض بعض التفريعات من ناحية خروجها عن متابعة نظام متحد في طريق الاستنباط؛ وذلك يشعر باتجاهه في الفقه اتجاهًا جديدًا، هو اتجاه العقل العلمي الذي لا يعني بالجزئيات والفروع، ويدل على أن اتجاه الشافعي لم يكن إلى تمحيص الفروع؛ ما نقله ابن عبد البر في الانتقاء من أن أحمد بن حنبل قال: قال الشافعي لنا: "أما أنتم فاعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث

---

١ - الشافعي واضع علم أصول الفقه، (١٧١).

٢ - مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (١/ ٣٦٨)



صحيحًا فأعلموني أن يكون كوفيًا، أو بصريًا أو شاميًا أذهب إليه إذا كان صحيحا"[1]، وطريقة علاجه لمسائل العلم تدل على منهجه، فعن أمه قالت: "ربما قدمنا في ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح بين يدي الشافعي، وكان يستلقي ويتذكر ثم ينادي الجارية هلمي مصباحًا، فتقدمه ويكتب ما يكتب ثم يقول: ارفعيه، فقيل لأحمد: ما أراد برد المصباح؟، قال: الظلمة أجلى للقلب"[2])[3].

وقد اتخذ الإمام الشافعي رحمه الله منهجية العقل العلمي المتكامل، والفكر التأصيلي التام، الذي يهتم بالكليات الكبرى، ولا ينشغل عنها بالجزئيات والفروع، خاصة إذا خالفت الأصول، ثم أخذ ينقض خروج بعض الجزئيات عن متابعة النسق القرآني والهدي النبوي، في طريق الاستنباط وطرائق الاستدلال[4]، ثم بيّن

---

[1] – آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٧٠).

[2] – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٩/ ١٠٤)، بتصرف يسير.

[3] – الشافعي واضع علم أصول الفقه، (١٦٠ – ١٦١).

[4] – قال الإمام الشافعي: (قال لي قائل: قد فهمتُ مذهبك في أحكام الله، ثم أحكام رسوله، وأن من قَبِل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن الله قَبِل، بأن الله افترض طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقامت الحجة بما قلتَ بأن لا يحلَّ لمسلم عَلِمَ كتاباً ولا سنة أين يقول بخلاف واحد منهما، وعلمتُ أن هذا فرضُ الله، فما حجتك في أن تَتْبع ما اجتمع الناس عليه مما ليس فيه نص حكم لله، ولم يحكوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟، أتزعُمُ ما يقول غيرك أن إجماعهم لا يكون أبدًا إلا على سنة ثابتة، وإن لم يحكوها؟، قال: فقلت له: أمَّا ما اجتمعوا عليه، فذكروا أنه حكاية عن رسول الله، فكما قالوا، إن شاء الله، وأما ما لم يحكوه، فاحتمل أن يكون قالوا حكايةً عن رسول الله، واحتمل غيره، ولا يجوز أن نَعُدَّه له حكايةً، لأنه لا يجوز أن يحكي إلا مسموعاً، ولا يجوز أن يحكي شيئاً يُتَوَهَّم، يمكن فيه غير ما قال، فكنا نقول بما قالوا به اتباعًا لهم، ونعلم أنهم إذا كانت سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تَعزُبُ عن عامتهم،



الترتيب المحكم لمراتب الاستدلال[1]، فرد على من اعترض على حكمه بحجية الإجماع والقياس، وإلحاقهما بعد الكتاب والسنة بمصادر التشريع[2].

فقد كان الإمام الشافعي يكثر من التفكير الهادئ في ظلمة الليل؛ ولم يكن تفكيره (تفكير من يهتم بالمسائل الجزئية والتفاريع، بل هو تفكير من يُعني بضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول تجمعها، وذلك: هو النظر الفلسفي، وكان أحمد يقول: "الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة، واختلاف الناس، والمعاني،

وقد تعزُبُ عن بعضهم، ونعلم أن عامّتهم لا تجتمع على خلافٍ لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا على خطأ، إن شاء الله)، ينظر: الرسالة، (١/ ٤٧١ وما بعدها).

١ – يراجع: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، الإمام الأكبر الشيخ/ مصطفى عبد الرازق، (ص:٢٣٠)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، بدون ت.

٢ – قال رحمه الله: (إني وإن حكمتُ بها كما احكم بالكتاب والسنة: فأصلُ ما أحكم به منها مفترقٌ، قال –المعترض–: أفيجوز أن تكون أصولٌ مفرَّقة الأسباب يُحكم فيها حكمًا واحدًا؟، قلت: نعم، يُحكم بالكتاب والسنة المجتمع عليها، الذي لا اختلاف فيها، فنقول لهذا: حكمنا بالحق في الظاهر والباطن، ويُحكم بالسنة قد رُويت من طريق الانفراد، لا يجتمع الناس عليها، فنقول حكمنا بالحق في الظاهر، لأنه قد يمكن الغلط فيمن روى الحديث، ونحكم بالإجماع ثم القياسِ، وهو أضعف من هذا، ولكنها منزلةُ ضرورة، لأنه لا يحل القياسُ والخبرُ موجودٌ، كما يكون التيمم طهارةً في السفر عند الإعواز من الماء، ولا يكون طهارةً إذا وُجد الماء، إنما يكون طهارةً في الإعواز، وكذلك يكون ما بعد السنة حجةً إذا أَعوَزَ من السنة، وقد وصفتُ الحجة في القياس، وغيره قبل هذا، قال: أفتجد شيئًا شبهه، قلت: نعم، أقضي على الرجل بعلمي أنَّ ما ادُّعي عليه كما ادُّعي، أو إقرارِه، فإن لم أعلم ولم يُقِرَّ قضيتُ عليه بشاهدين، وقد يغلِطان ويهِمَان، وعلمي وإقرارُه أقوى عليه من شاهدين، وأقضي عليه بشاهد ويمين، وهو أضعف من شاهدين، ثم أقضي عليه بنكوله عن اليمين ويمينِ صاحبه، وهو أضعف من شاهد ويمين، لأنه قد ينكُل خوفَ الشهرة واستصغارَ ما يحلف عليه، ويكون الحالف لنفسه غيرَ ثقة وحريصاً فاجرًا)، الرسالة، (١/٦٠٠).



والفقه"[1] وقد حاول الشافعي: أن يجمع أصول الاستنباط الفقهي وقواعدها علمًا ممتازًا وأن يجعل الفقه تطبيقًا لقواعد هذا العالم، وبهذا يمتاز مذهب الشافعي من مذهب أهل العراق وأهل الحجاز)[2]، فوضع الإطار العام الذي يتحرك فيه والعلماء، والخط العريض الذي يحذوه الفقهاء كلٌ حسب قدراته العلمية، ووفق طاقاته الذهنية، وجهوده الدعوية؛ لذا وضع الإمام الشافعي علم أصول الفقه، وهو علم يبحث في كيفية ترتيب البراهين، وقد أشار (إلى أن جماع الأصول نص ومعنى، فالكتاب والسنة والإجماع داخل تحت النص، والمعنى هو القياس)[3]، ومن ثم بيّن سبل الاستفادة من الأدلة الإجمالية والتفصيلية، فهو أشبه بقانون كلي أنشأه لجمع شمل الأمة وترسيخ وحدتها وإعلاء رايتها.

وكما أن الإمام الشافعي (هو أول من وجه الدراسات الفقهية إلى ناحية علمية فهو أيضًا: أول من وضع مصنفًا في العلوم الدينية الإسلامية على منهج علمي بتصنيفه في أصول الفقه ... فالناس كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة وفي كيفية معارضتها، وترجيحاتها؛ فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه ووضع للخلق قانونًا كليًا يرجع إليه في معرفة أدلة الشرع)[4]، وحسب الإمام الشافعي من الشرف جمع الأمة على الحق المبين وردها إلى الكتاب الكريم والسنة المطهرة بالعلم والفقه والحكمة واللين.

---

١ – مناقب الشافعي للإمام البيهقي، (المقدمة/ ١٩).

٢ – الشافعي واضع علم أصول الفقه، (١٦٢)، باختصار.

٣ – البحر المحيط في أصول الفقه، الإمام الزركشي، (١/ ٢٨)، الناشر: دار الكتبي، ط١: ١٤١٤هـ.

٤ – الشافعي واضع علم أصول الفقه، (ص: ١٦٣ – ١٦٥).



ثم تبع الإمام الشافعي جموع الأئمة والعلماء، (فقد احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد، لاستفادة الأحكام من الأدلة، فكتبوها فنًا قائمًا برأسه سموه أصول الفقه، وكان أول من كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه، أملى فيه رسالتة المشهورة، تكلم فيها في الأوامر والنواهي، والبيان والخبر، والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس، ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد وأوسعوا القول فيها، وكتب المتكلمون أيضاً كذلك، إلا أن كتابة الفقهاء فيها أمس بالفقه وأليق بالفروع، لكثرة الأمثلة منها والشواهد، وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية، والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه، ويميلون إلى الاستدلال العقلي ما أمكن، لأنه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم، فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية، والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن)[1]، فجزاهم الله جميعًا خير الجزاء.

فقد وضع الإمام الشافعي رحمه الله نظامًا متقنًا، يهدف إلى الاستنباط الشرعي من أصول الفقه وأدلته، ومن ثم حدد المجال لكل أصل منها ودليل لها؛ فأنشأ قانونًا للاستدلال الشرعي، ونظامًا محكمًا للقياس العقلي، يخدم القرآن والسنة، ويستمد منهما، ولا يحيد عنهما قيد أنملة، ولا يستغنى عنه في التشريع، فجمع الله به بين مدرسة الحديث والأثر وبين مدرسة الرأي والنظر، قال الإمام أحمد رحمه الله (هذا؛ يعني الشافعي، رحمةٌ من الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل لحسين الكرابيسي[2] ما تقول في الشافعي؟، فقال: ما أقول في رجل ابتدأ في أفواه الناس الكتاب، والسنة، والاتفاق؟، ما كنا ندري ما الكتاب والسنة، نحن ولا

---

[1] – مقدمة ابن خلدون، (ص: ٣٩٧)، طبعة المكتبة الأدبية، بيروت، ط١: ١٨٧٩م.

[2] – العلامة فقيه بغداد، الْحُسَيْن بن على بن يزِيد أَبُو على الكرابيسى، كَانَ إِمَامًا جَلِيلًا جَامعا بَين الْفِقْه والْحَدِيث، تفقه أَولا على مَذْهَب أهل الرأى ثمَّ تفقه للشافعى، وَله مصنفات كَثِيرَة وَقد أجَازه الشافعى، توفي ٢٤٥هـ وقيل: ٢٤٨، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ١١٧).



الأولون، حتى سمعنا من الشافعي الكتاب، والسنة، والإجماع)[١]، ومن ثم جمع الله به الأمة وأهل الملة، ثم تبعه المصنفون في علم الأصول.

فالإمام الشافعي رحمه الله تعالى هو (أول من صنف في أصول الفقه، صنف فيه كتاب الرسالة، وكتاب أحكام القرآن، واختلاف الحديث، وإبطال الاستحسان، وكتاب جماع العلم، وكتاب القياس الذي ذكر فيه تضليل المعتزلة ورجوعه عن قبول شهادتهم، ثم تبعه المصنفون في الأصول، قال الإمام أحمد بن حنبل: "لم نكن نعرف الخصوص والعموم حتى ورد الشافعي"، وقال الجويني في شرح الرسالة: "لم يسبق الشافعي أحدٌ في تصانيف الأصول ومعرفتها"، وقد حكي عن ابن عباس τ تخصيص عموم، وعن بعضهم القول بالمفهوم، ومن بعدهم لم يقل في الأصول شيئًا، ولم يكن لهم فيه قدم، فإنا رأينا كتب السلف من التابعين وتابعي التابعين وغيرهم فما رأيناهم صنفوا فيه، ألا ترى أن أحمد بن حنبل كان متقدما في العلم، وكان يأخذ بركابه فيتبعه، ويتعلم منه)[٢]، فأسس القواعد الكبرى، وحد الحدود الرئيسة، ورسم الإطار العام، الذي يتحرك فيه علماء المذاهب في كل زمان، من حيث ترتيب البراهين وكيفية الاستفادة من الأدلة الإجمالية والتفصيلية، ولا شك أن هذا النهج القويم جمع الله به شمل الأمة.

---

١ – آداب الشافعي ومناقبه، (ص: ٤٣)، بتصرف يسير.

٢ – البحر المحيط في أصول الفقه، (١/١٨).



الخاتمة

وتتضمن: (أهم النتائج – أهم التوصيات).

أولًا: النتائج: توصل الباحث من خلال البحث إلى عدة نتائج، من أهمها ما يلي:

١– أن تحقق وحدة الأمة مقصد شرعي مطلوب لذاته ولا يتوقف على رفع الاختلاف وزواله؛ أمر ممكن ليس مستحيلًا، لكنه يتطلب رؤية ثاقبة، ويحتاج جهدًا كبيرًا وعملًا دؤوبًا، ويستلزم منهجية شاملة، تمتزج بصدق القصد، وتتحلى بالتجرد للعلم، وتتزين باتباع الحق.

٢– حرص الإمام الشافعي على وحدة الأمة وتدعيم وحدة صفها وجمع كلمتها ولم شملها ورأب صدعها، وتوحيد جهود علمائها والانتفاع بتراث أئمتها، من خلال ترسيخ حجية مصادر التشريع وترتيبها وفقه نصوصها، وضبط مسار الاجتهاد، وتقعيد طرق الاستدلال، وإحكام سبل الاستنباط من الكتاب والسنة.

٣– وضع الإمام الشافعي نظامًا متقنًا، يهدف إلى الاستنباط الشرعي من أصول الفقه وأدلته؛ فأنشأ قانونًا للاستدلال الشرعي ونظامًا محكمًا للقياس العقلي، يخدم القرآن والسنة ويستمد منهما ولا يحيد عنهما قيد أنملة، ولا يستغنى عنه في التشريع، من خلال تحديد المجال لكل أصل منها ودليل لهما.

٤ – ربط الإمام الشافعي بين علم أصول الفقه وعلم الكلام، وأثبت أن أصول الإسلام ومصادر التشريع تجمع بين العقل والنقل معًا، غير أنه لم يلج بحر العقيدة على طريقة المتنطعين؛ حرصًا على جمع كلمة الأمة.

٥– تلقت الأمة منهجية الإمام الشافعي بالقبول؛ لأنه أكثر الأئمة إتباعًا وأقواهم احتجاجًا وأصحهم قياسًا وأبينهم بيانًا وأفصحهم لسانًا وأوضحهم إرشادًا، وأوسعهم من حيث الأساليب والوسائل الدعوية.



٦- قوة المنهجية المعتمدة على استنباط الأحكام من المعاني والعلل التي بنيت عليها في ضوء مقاصد التشريع وسماحة الشرع الحنيف، وعدم الاقتصار على ظاهر النص.

٧- أن الإمام الشافعي أول من أسس وصنّف في أصول الفقه، ثم تبعه المصنفون في الأصول.

٨- دور النشأة السوية في غرس القيم الدينية، وترسيخ التعاليم السماوية، وتدعيم المعاني الروحية، وتعزيز الفضائل الخلقية، في نفوس الأبناء، وتربيتهم على حمل الرسالة السامية، والاعتزاز بدينهم.

٩- خطورة التعصب المذهبي والتحيز العنصري في الجانب العقدي على افتراق الأمة وتفتيت شملها.

<u>ثانيًا: التوصيات: يوصي الباحث بما يلي:</u>

١- الكشف عن مقومات وحدة الأمة بالبحث والدراسة، وتعزيز نقاط القوة ومعالجة نقاط الضعف.

٢- حصر مظاهر افتراق الأمة ومعالجتها علميًا وفكريًا وثقافيًا في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

٣- إعادة النظر في آليات تحقيق وحدة الأمة، ومراعاة المستجدات على ساحة الفكر.

٤ – إعداد مشروعات علمية متتابعة لدراسة وتحقيق الأحاديث النبوية في كتب الفقهاء.

٥ – ضرورة الإلمام بمعاني اللغة العربية، ومعرفة دلالاتها، وفهم مبانيها وإدراك مراميها، فهي وعاء الدين، ومصدر معارفه، ومنبت أفكاره، ومنبع تراثه ومنشأ تاريخه، وأداة التعبير والبيان عنه، ووسيلة الفهم والإيضاح، وركيزة العلوم والثقافات، وقلادة الفنون وعِقد الحضارات.



قائمة المصادر والمراجع

أ- القرآن الكريم.

ب- من أهم المصادر والمراجع:

الاجتهاد المقاصدي حجيته ضوابطه، أ/ نور الدين الخادمي، تقديم: أ/ عبيد حسنة، ط١: ١٤١٩هـ.

إحياء علوم الدين، حجة الإسلام الإمام الغزالي، دار المعرفة – بيروت.

اختلاف الحديث، الإمام الشافعي، (مطبوع ملحقا بكتاب الأم للإمام الشافعي)، الناشر: دار المعرفة، بيروت: ١٤١٠هـ.

آداب الشافعي ومناقبه، ابن أبي حاتم، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢٤هـ.

أدب الطلب ومنتهى الأدب، الشوكاني، تحقيق: عبد الله السريحي،، دار ابن حزم –بيروت، ط١: ١٤١٩هـ.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الإمام القسطلاني، طبعة: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧: ١٣٢٣هـ.

إرشاد الفحول، الشوكاني، تحقيق: الشيخ/ أحمد عزو عناية، دمشق، الناشر: دار الكتاب العربي، ط١: ١٤١٩هـ.

أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.

أصول الدعوة والثقافة الإسلامية، أد/ سعيد محمد الصاوي، ط١: ١٤٢٥م.



الاعتصام، الإمام الشاطبي، طبعة: دار ابن الجوزي بالمملكة السعودية، ط١: ١٤٢٩هـ.

الاعتقاد والهداية الإمام البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة –بيروت، ط١: ١٤٠١هـ.

الأم، الإمام الشافعي، (٨/٧٦٣)، تحقيق الشيخ: رفعت فوزي، الناشر: دار الوفاء المنصورة، ط١: ١٤٢٢هـ.

التاريخ الكبير، الإمام البخاري، تحقيق: القاضي عبد الرحمن المعلمي، طبعة: دار الكتب العلمية بيروت لبنان،

تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، المحقق: د/ بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

تاريخ دمشق، للحافظ ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، طبعة: دار الفكر، عام: ١٤١٥هـ.

تحفة الأحوذي، الإمام المباركفوري، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت.

التعريفات، الإمام الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية ببيروت، ط١: ١٤٠٣هـ.

تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢: ١٤٢٠هـ،

التهذيب في فقه الشافعي، الإمام البغوي، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١٨هـ.



توالي التأنيس بمعالي ابن إدريس، للحافظ ابن حجر، تحقيق: عبد الله الكندري، طبعة: دار ابن حزم، ط١: ١٤٢٩هـ.

التوقيف على مهمات التعاريف، الإمام المناوي، طبعة: عالم الكتب، القاهرة، ط١: ١٤١٠هـ.

جامع البيان، الإمام الطبري تحقيق: د/عبد الله عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر، ط١: ١٤٢٢هـ.

الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، تحقيق هشام سمير البخاري، الناشر: عالم الكتب، بيروت – لبنان: ١٤٢٣هـ.

حصاد الغرور، للشيخ محمد الغزالي، طبعة دار الشروق، ط١: ١٩٩٨م.

خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالي، الناشر: دار نهضة مصر، ط١.

الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أد/ أحمد غلوش، الناشرون: دار الكتب الإسلامية– المصري بالقاهرة، ط٢: ١٤٠٧هـ.

الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، أد/ رؤوف شلبي، دار القلم الكويت ط٣: ١٤٠٢هـ.

الدعوة إلى سبيل الله أصولها وميادينها، أد/ عبد الخالق إبراهيم إسماعيل، مطبعة الأمانة القاهرة، ط١: ١٤٠٧هـ.

الرسالة، الإمام الشافعي، تحقيق الشيخ: أحمد شاكر، طبعة: مكتبه الحلبي بمصر، ط١: ١٣٥٨هـ.

روح المعاني، الإمام الألوسي، تحقيق: على عبد الباري عطية، طبعة: دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

زاد المسير، ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبعة: دار الكتاب العربي–بيروت، ط١، عام: ١٤٢٢هـ.

سنن الإمام أبي داود، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط١: ١٤٣٠هـ.

سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣: ١٤٠٥هـ.

الشافعي حياته وعصره وآراؤه الفقهية، الإمام/ محمد أبو زهرة، طبعة: دار الفكر العربي: ١٩٧٨م.

الشافعي واضع علم أصول الفقه، أد/ مصطفى عبد الرازق، طبعة: مجلس حكماء المسلمين، ط١، عام: ١٤٤٠هـ.

شرح السنة، الإمام البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: المكتب الإسلامي –دمشق، بيروت، ط٢: ١٤٠٣هـ.

شرح مسند الإمام الشافعي، الإمام الرافعي القزويني، المحقق: د/ أبو بكر زهران، تقديم: أد/ أحمد معبد عبد الكريم، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١: ١٤٢٨هـ.

صحيح البخاري، طبعة: دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١: ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.



الصورة الأدبية في القرآن، د/ صلاح الدين عبد التواب، طبعة الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط١: ١٩٩٥م.

طبقات الشافعية الكبرى، الإمام السبكي، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، طبعة: دار إحياء الكتاب العربي.

طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين علي، طبعة: دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط١: ١٩٩٢م.

عيون الأخبار، الإمام ابن قتيبة، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت: ١٤١٨هـ

فتح الباري، الحافظ ابن حجر، ترقيم: أ/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة –بيروت، ١٣٧٩هـ.

الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، المحقق: عادل الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، ط٢: ١٤٢١هـ.

الفهرست، ابن النديم، (ص: ٢٢٣)، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، ط٢: ١٤١٧هـ.

القاموس المحيط، الإمام الفيروز أبادي، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨: ١٤٢٦هـ.

الكبائر، المنسوب للإمام الذهبي، الناشر: دار الندوة الجديدة – بيروت، باختصار.

الكشاف، الزمخشري، تحقيق عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣: ١٤٠٧هـ.

لسان العرب، الإمام ابن منظور، طبعة: دار صادر–بيروت، ط٣: ١٤١٤هـ.

المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي، الإمام النووي، طبعة: دار الفكر.

محاضرات في تاريخ الدعوة إلى الله تعالى، أد/ مخلوف محمد جلاجل، طبعة الأنوار المحمدية:١٤٣٠هـ.

مختار الصحاح، زين الدين الحنفي، تحقيق: يوسف الشيخ، طبعة: المكتبة العصرية– بيروت، ط٥: ١٤٢٠هـ.

المدخل إلى علم الدعوة، أد/ محمد البيانوني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣: ٢٠٠١م.

المدخل إلى علم الكلام، أد/ حسن الشافعي، طبعة: مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢: ١٩٩١م.

مسألة الاحتجاج بالشافعي، الإمام الخطيب البغدادي، تحقيق: خليل إبراهيم ملا خاطر، الناشر: المكتبة الأثرية، باكستان.

المستصفى، الإمام الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١٣هـ.

المسند، الإمام أحمد، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢١هـ.

المسند، الإمام أحمد، طبعة: دار الحديث، القاهرة، ط١: ١٤١٦هـ.

معجم مقاليد العلوم، الإمام السيوطي، المحقق: أد/ محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب بالقاهرة، ط١: ١٤٢٤هـ.



المفردات في غريب القرآن، الأصفهانى، تحقيق: صفوان الداودي، طبعة: دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ.

معجم مقاييس اللغة، الإمام ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام: ١٣٩٩هـ.

منازل الأئمة الأربعة، الإمام السلماسي، المحقق: محمود قدح، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١: ١٤٢٢هـ.

مناقب الإمام الشافعي، الإمام الآبري، تحقيق: د/ جمال عزون، طبعة: الدار الأثرية، ط١: ١٤٣٠هـ.

مناقب الشافعي، للإمام البيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة: مكتبة دار التراث – القاهرة، ط١: ١٣٩٠هـ.

وسائل الدعوة الإسلامية، أد/ عبد الرحمن جيرة، ط٢: ١٤٣٩هـ.



فهرس الموضوعات:

